الْمَضَامِيْن العَقَدِيَّة
في
الأَمْثال الْعَامِيَّةِ الْمَصْرِيَّة

إعـــــداد

د. محمود سعيد حميدة عطية
مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
Mahmoud.said.atia@gmail.com

تاريخ الاستلام :١٠/١٠/٢٠٢١م
تاريخ القبول :١١ ١٢/١٢/٢٠٢١م

ملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن المضامين العقدية في الأمثال العامية المصرية، مع بيان منطلقاتها ومضامينها التي توافق العقيدة أو تخالفها وتقسيمها وفقا لموضوعات العقيدة الإسلامية الكبرى: الإلهيات والنبوات والسمعيات، فضلا عن الكشف عن مدى تأثير الأمثال العامية ذات المضمون العقديّ على السلوك الإنساني، وحاول البحث أن يوضح الصلة بين القضايا الكلامية القديمة ومضمون الأمثال العامية المتداولة. وقد استعمل البحث بعض الآليات المنهجية في تحقيق تلك الأهداف باستقراء الأمثال العاميّة ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية وجمعها من بعض الكتب التي اهتمت بالأمثال العامية المصرية، ثم محاولة إعادة ترتيبها حسب مضمونها العقديّ وتحليلها موضوعيًا وتركيبها وفقًا لأقسام العقيدة الإسلامية، علاوة على استنباط المضامين العقدية في صورتها الواقعية سواء وافقت العقيدة الصحيحة أم خالفتها مستمعلا آلية النقد. ومن النتائج التي أسفر عنها البحث أن هناك صلة وثيقة بين التراث العقديّ والأمثال العامية تدل على أن التراث الشفهي الجماعي قد استفاد في أغلبه من التراث الديني، وأن العقيدة الإسلامية على الرغم من كونها غيبية فإن مضامين الأمثال العامية أثبتتْ أن لها تأثيرًا كبيرًا في السلوك الحياتيّ نظرًا لسهولة المثل وانتشاره. وقد استنتجنا من البحث أن هناك تناقضا ظاهريًّا في بعض الأمثال العامية التي عبرت عن المسائل العقدية. وأن الأمثال العامية العقدية يمكن توظيفها لعرض صورة يسيرة للمضمون العقدي في الإسلام بما يميزه عن المضمون الكلاميّ المعقد.

الكلمات الإفتتاحية: الأمثال العامية المصرية، العقيدة الإسلامية، الإلهيات، النبوات، السمعيات.

Abstract:

The research aims to clarify the creed implications of Egyptian colloquial proverbs showing their implications and meanings that correspond with the Islamic creed: theologies, prophethoods, and Audiology, and to reveal their impact on human behavior. The research also tries to clarify the link between the ancient scholastic theology's issues and the content of the daily used colloquial proverbs.

The research used some methodological mechanisms to obtain these goals via deducting colloquial proverbs which are related to Islamic creed. They were collected from some books that were interested in Egyptian colloquial proverbs. The researched tried to rearrange them according to their creed implications, in addition to deducting creed implications in reality whether they matched the correct creed or not using the critical tool. Among the results of the research is that there is a deep relationship between creed heritage, theology heritage and colloquial verbs which denotes the fact that the collective verbal heritage benefited mainly from the old religious heritage. It denotes also that the Islamic creed, though it is built on the unseen, was proven by the colloquial proverbs that it had a great impact on the daily behavior due to the fact that the proverbs are easily sprea. We deducted from this research that there is an apparent contradiction in some colloquial proverbs which expressed creed issues. The colloquial proverbs related to the creed can be employed to show an easy image of the creed content in Islam in a way that distinguishes it from the complicated word content.

Keywords: Egyptian colloquial proverbs, Islamic belief, theology, prophecies, audiology.

مقدمة:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد، فقد حاول البحث الكشف عن المضامين العقدية للأمثال العامية المصرية في صورتها الواقعية الحيَّة، إذ تعد الأمثال تراثًا شفاهيًا وحضاريًا للأمة المصرية عبرتْ **عن** فهم الناس لمعتقداتهم وعاداتهم وقيمهم من جهة وتفاعلهم معها في حياتهم اليومية من جهة أخرى، وبذلك برهنتْ الأمثال العامية على أن العقائد ليستْ مجرد مثاليات أو غيبيات مطلقة بقدر ما تُسهم إلى حدٍّ كبير في تغيير الواقع والتأثير فيه على نحو سلوكيٍّ واضح بحسب المواقف والأحوال المختلفة، فالأمثال العامية هي الوعاء الذي حمل حكمة الشعوب عبر الزمان بلهجتها المحلية؛ لتميز أمة عن أختها، وقد كثرتْ الدراسات عن الأمثال العامية مع اتّساع الفكر القوميّ في العصر الحديث واعتزاز كل أمة بتراثها الموروث ويجدر به أن يزداد في عصر العولمة الذي باتتْ فيه الهُويَّات الثقافية والبُنَى الاجتماعية مهددة بالتآكل والتفكك فضلاً عن ذوبان الخصوصيَّات المحلية.

موضوع البحث وإشكاليته:

من المعلوم أن الأمثال العامية عبرتْ عن مجالات إنسانية مختلفة، إذ كشفت عن انصهار الإنسان في واقعه المعيش باعتباره كائنًا اجتماعيًّا صدرتْ عنه الأمثال التي كانت بمثابة مصابيح كاشفة عن جوانب مهمة في حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والعقديّة، ولعل ذلك التنوع الذي غَطَّى حياتَه كلَّها يرجع إلى أنها لَيستْ صناعة فئة دون فئة كالعوامّ في مقابل الخواص بل هي صناعة شعبية شملت المجتمع كله، وانتقلت من جيل إلى آخر، وإن كان غالب استعمالها يشيع في الطبقات الدنيا دون العليا، ونظرا لكثرة هذه الجوانب وتنوعها اختص البحث بالجانب العقديّ فحسب حيث أثارت الأمثال العامية عدداً من التساؤلات المهمة التي تحتاج إلى جواب، ومنها: هل عبرتْ الأمثال العامية المصرية عن موضوعات العقيدة الإسلامية المختلفة حسب التقسيم الأشعري السائد لها: المقدمات،

والإلهيات، والنبوات والسمعيات؟ وهل هناك أمثلة عبرتْ عن الدين لدى المصريين في صورته السلوكية العملية؟ وهل كانتْ الأمثال العامية تُضرب بحثًا عن الإقناع والبرهان أم ترويحًا عن النفس وتذكيرًا لها من خلال المثل المضروب؟ وهل هذا التراث الشَّعبي العاميَ السائر له صلة وثيقة بالقضايا الكلامية القديمة التي خاض فيها المتكلمون؟ وهل الأمثال العامية المصرية تُجمع على رأي واحد في المسائل التي كانت محل خلاف بين المتكلمين أم أنها عبرتْ عن ذات الخلاف بأمثال متنوعة؟ وهل وافقت الأمثال العامية المصرية العقيدة الإسلامية أم خالفتها؟ وتبقى إجابة هذا بعض هذه التساؤت فرضيَّة تحتاج إلى إثبات، وبناءً عليه كانتْ أهداف البحث وأهميته.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عنايته إبراز النقاط الآتية:

١- توظيف الأمثال العاميَّة في فَهْم العقيدة وعرضها بما يُعبر عن الحسّ الشَّعبيّ لدى العوامّ، وهي طريقة اتبعها القرآن باستعمال كثير من الأمثال القرآنية في إثبات مسائل العقيدة كالتوحيد والنبوة والمعاد.

٢- عرض الجانب العقائدي الذي يعد أحد الجوانب المهمة في تكوين الشخصية المصرية ومدى تأثيره في واقعها العمليّ السلوكيّ.

٣- أنه حاول الربط بين التراث العقائديّ الموروث عن الأقدمين من جهة والتراث الشعبي المعاصر (الأمثال العامية) من جهة أخرى.

٤- الأمثال العامية الخاصة بالعقيدة تعدُّ أحيانًا براهين حاسمة تُسعف من لا يمتلك الدليل والبرهان القاطع بما يكفي للإقناع حيث ذكر محمود الباجوري أن **(الْمَثَل لِلكَلام زَيْ الْبُرْهَان لِلقَضِيَّة) أو (الْمَثَل لِلكَلام زَيْ الْمِلْح لِلطَّعَامْ).** [١]

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق النقاط الآتية:

١- معرفة كيف تتحدث الأمثال العامية المصرية عن مسائل العقيدة الإسلامية.

٢- الكشف عن منطلقات الأمثال العامية وكيفية تشكل مسائل العقيدة في الوعي الجمعي.
٣- الكشف عن مضامين الأمثال العامية التي توافق العقيدة أو تخالفها.
٤- الحفاظ على الأمثال العامية التي توافق العقيدة والاحتراز مما يخالفها لاسيما في عصر العولمة الذي بدأتْ تندثر فيه الأمثال وتنحصر في طبقات معينة.
٥- التَّعرف على مدى تأثير الأمثال العاميَّة الخاصة بالعقيدة في الحياة العامة.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات كثيرة حاولت معالجة الأمثال العامية جمعًا وتصنيفًا وأخرى حاولت دراستها تحليلا من جوانب عدة، منها: لغوية أو صوتية أو حيث دلالاتها الاجتماعية أو من خلال سياقها الروائي أو القصصي أو على سبيل المقارنة في بلد مع بلد آخر، أو جوانب الفكرية والقيمية أو الجوانب الدينية الفرعونية، وهناك دراسات عن تناول الأمثال التي تخالف العقيدة في بيئات أخرى غير البيئة المصرية كنجد أو الجزائر أو فلسطين، أما بالنسبة للأمثال المصرية فلم أقف على دراسة متخصصة للمضمون العقديّ في الأمثال العامية المصرية سوى بحث ودراسة:

١- "العقائد الدينية في الأمثال العامية" د. حسن حنفي، وهو عبارة عن مقال صغير ١٥ ورقة نشره في كتاب التراث الشعبي في عالم متغير الذي شارك في تحريره مع د. محمد الجوهري سنة٢٠٠٢، وعلى الرغم من أنه قسم بحثه تبعا للنسق الأشعري في تقسيم العقائد إلى بابين كبيرين الإلهيات والنبوات أو العقليات والسمعيات، فإنه قد انتهى إلى حكم عام وهو أن الأمثال العامية لا تغطي كل هذه الموضوعات قائلا: "فإن كانت مجموعة الأمثال العامية حول العقائد حوالي مائة مثل يغلب على موضوع الجبر والاختيار ثلثها تقريبا" (٢) وهذا القول يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأن الأمثال العامية قد غطت هذه المباحث الثلاثة وإن اختلفت نسبتها من قسم إلى آخر، فضلا عن أنه لم يوضح الأسس التي استند إليها من خلال الإحصائية التي انتهى إليها، وأدخل بعض الأمثال الخاصة بالفقه حتى يثبت

وجهة نظره، بل إنه أدخل من العقائد ما ليس منها ويعد خارجاً عن المسائل الثلاثة، وهي مسألة الإمامة والتمس لها بعض الأمثلة فكيف لم تغط الأمثلة العقائد الدينية، ووجدت أن المنهج فيه مضطرب مرجعه هو مسلكه التأويلي الذي أراد من خلاله إثبات فكره الأيدلوجي عن التراث، فضلا عن كونه قد اعتمد على مصدر واحد للأمثال، وهو كتاب الأمثال العامية لأحمد تيمور، ومن ثم شرعت في إضافة هذه اللبنة نظرا لأهميتها في الكشف عن التصور الشعبي للعقيدة الإسلامية ومدى تأثيرها في مواقف الناس وسلوكياتهم المختلفة

٢- (الأمثال الشعبية المصرية وأثرها على الفرد والمجتمع) أحمد سعيد على حسن، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الدعوة جامعة الأزهر سنة ٢٠١٨م، اهتم الباحث فيها بإبراز الجوانب التربوية والدعوية للأمثال الشعبية المصرية ومدى تأثرها على الثقافة الإسلامية بوجه عام بما في ذلك القيم والأخلاق باعتبارها إحدى دعائم الثقافة الإسلامية، وجاء تناوله للجانب العقديّ فيها مقتضبا على نحو عام بذكر بعض الأمثال جملة دون استقصاء كافة الأمثال أو تعمقها، ولعل هذا يتسق مع طبيعة بحثه الدعويّ. وما يميز بحثي عن هذين البحثين يتجلي للقاريء من خلال مسار البحث ومنهجه على النحو الآتي:

منهج البحث:

اعتمد منهج البحث على الخطوات العملية الآتية:

١- استقراء الأمثال العامية ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية وتوثيقها من خلال بعض الكتب والموسوعات التي أُعِدَتْ عنها واخْتَصَّتْ أغلبها بالبيئة المصرية، مثل كتاب الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا حيث قمت بالاستقراء التام لكل الأمثال العامية به، واستخرجت الخاص منها بالعقيدة الإسلامية في موضوعاتها الكبرى، وكذلك كتاب حدائق الأمثال العامية جمع وترتيب فائقة حسين راغب طبع سنة١٩٣٩م ، وكتاب أمثال المتكلمين من عوام المصريين محمود الباجوري

وطبع بالمطبعة الشرقية سنة ١٣١١هـ وغيرها مما قد أشرت إليه في هامش البحث.

٢- إضافة بعض الأمثال الشائعة إلى يوم الناس هذا بحسب ما يسمح به المقام عن طريق المقابلة لبعض كبار السن في بعض القرى المصرية التي تقع في الوجه البحري بمحافظة البحيرة.

٣- تصنيف الأمثال العامية وترتيبها موضوعيًّا وفقًا لأبواب العقيدة الإسلامية: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

٤- تحليل مضمون الأمثال العامية ومحاولة التماس أصلها العقديّ ومدى ارتباطها بالقضايا التي أثيرتْ في التراث الكلاميّ والعقديّ.

٥- الاستنباط من الأمثال العاميّة وبيان ما يخالف العقيدة الإسلامية وما يوافقها.

٦- الالتزام بوضع الأمثال العامية بين قوسين ( ) تمييزا لها فضلا عن كتابتها ببنط عريض مع ضبطها بالشكل بحسب نطقها بالعامية المصرية.

أقسام البحث:

وتأسيسا على تلك المنهجية كان من المناسب تقسيم البحث إلى: تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولت في التمهيد: مفهوم المثل لغة واصطلاحا، وخصائص الأمثال العامية، وعلاقة الأمثال بالعقيدة الإسلامية، وتناولت في المبحث الأول: الأمثال العامية المصرية في مسائل الإلهيات، وفي المبحث الثاني عرضت للأمثال العامية المصرية في النبوات، وفي المبحث الثالث عرضت للأمثال العامية في السمعيات ثم خاتمة بأهم النتائج والتوصيات، واتضح من البحث أن الأمثال العامية غطت موضوعات العقيدة المختلفة، وأن أغلب الأمثال العامية التي دارت حول مسائل العقيدة كانت تستمد مباشرة من القرآن أو السنة أو التراث الذي دار في فلكهما؛ مما يدل على أن أغلب الأمثال العامية توافق في مجملها العقيدة الإسلامية الصحيحة. وأوصى البحث بأن يكون هناك استعمال للأمثال العامية في تدريس العقيدة تحبيبا للطلاب في بيان مسائل العقيدة.

تمهيد:

نحاول في هذا التمهيد أن نوضح ماهية الأمثال الشعبية المصرية وخصائصها وعلاقتها بالعقائد والفلسفة ونحاول كذلك بيان بعض المصطلحات التي وردت في عنوان البحث مثل الأمثال العامية (الشعبية) المصرية وما يميزها عن غيرها.

أولا: المثل لغة واصطلاحا:

المثل في اللغة هو المناظر أو الشبيه على سبيل التساوي بين مختلفين في الجنس أو المتفقين، والمِثْل يطلق على الشبيه والنظير المتفقين في النوع، قال ابن بريّ: "الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين تقول نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه ..فإذا قيل هو مثْلُه في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة" [٣] وقد عرَّفه أبو إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) بأنه "ما ترضاه العامة والخاصة، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدُّر، ووصلوا به إلى المطالب القصيَّة، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة" [٤] وتعرفه دائرة المعارف البريطانية بأنه "جملة قصيرة موجزة، مصيبة المعنى، شائعة الاستعمال" [٥] وانتهى مجمع اللغة العربية إلى أنه عبارة عن "جملة من القول مقتطفة من كلام أو مرسلة بذاتها، تَنْقَل ممن وردتْ فيه إلى مشابِهِه دون تغيير" [٦] وليست تلك المشابهة من كل الوجوه، وإنما من بعضها، ورأى جورجي زيدان (ت١٩١٤م) أن "الأمثال من آداب العرب الهامة؛ لأنها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر. وهي عظات بلغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح" [٧] ولا تخلو أمة من الأمثال المتوارثة في الأعقاب لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث؛ لأن الأمثال عندهم نوعان: أمثال حكمية كقولهم الجار قبل الدار والأمثال المبنية على الحوادث، وهي خاصة بهم لأن الحوادث جرت لهم كقولهم وافق شَنٌّ طبقةً... [٨] فهو

يركِّز على لغة المثل وكونه من الأدب العربي الناطق بالحكمة والعبرة، وعرَّف أحمد أمين (ت١٩٥٤م) الأمثال العامية بإبراز خصائص المثل بقوله: "الأمثال نوعٌ من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومَزِيّة الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب" (٩) ورأى حامد طاهر (ت٢٠٢٠م) أن المثل العاميَ ركز على صانع المثل: "قول مأثور يتضمن نصيحة شعبية أو حقيقة عامة أو ملاحظة تجريبية، أو حتى موقفاً ساخراً من عادة اجتماعية أو أسلوب سياسي معين. ويصوغ المثل الشعبي شخص على درجة عالية من الحكمة، ولديه قدرة على التركيز، وموهبة خاصة في استخدام اللهجة الشعبية، وجودة اختيار ألفاظها" (١٠) وقال أبو سنة: "المثل عبارة عن قول مأثور وجد أصداء داوية في النفوس فشاع وانتشر وأصبح لغة متداولة يسهل التفاهم بها. وهو قد صار قولا مأثورا؛ لأنه نوع من عصير الحياة، محلول الخبرة والتجربة الإنسانية في جميع مجالاتها" (١١).

ومن جملة التعريفات السابقة نستنبط الآتي:

١- أن المثل عبارة عن أقوال موجزة.

٢- أن الأمثال العامية صورة من صور الأدب الشعبي الْمُتْرَع بالحياة في صورها المختلفة.

٣- أن المثل له مورد ومضرب، والمشابهة بينهما من بعض الوجوه هي التي تسمح بانتقال المثل من الموقف الأول الذي ورد فيه إلى الموقف الثاني الذي استدعى ضربه.

٤- المثل له خصائص وسمات أسلوبية خاصة تميزه عن سائر الفنون الأدبية الأخرى كالشعر والرواية القصة والنثر.

ثانيا: خصائص الأمثال العامية:

يمكن أن نميز بين الأمثال العامية وغيرها من فنون القول بعدة خصائص، منها:

١- إنسانية عامية:

من الواضح أن مصدر الأمثال العامية هو الإنسان، فهي ليستْ إلهية المصدر كالأمثال القرآنية التي ضربها الله في كتابه لإثبات مسائل الألوهية والتوحيد ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [النحل: ٧٥] (١٢)، وتتميز الأمثال العامية أيضا بأنها احتفظت بطريقة النطق السائر على ألسنة الناس كما يؤدونها في الحياة اليومية، وإن كانت مكتوبة بالأحرف العربية فإنها تعبر غالبًا عن ذلك المنطوق العامي، ومن ثم فليست ملتزمة بقواعد اللغة العربية، وليست واردة نظمًا، وإن كانت تشترك في كونها واردة نثرا فإنَّ بعض جامعي المثل حاولوا أن يكتبوه بالعربية الفصيحة لاسيما إذا ذاع بهذه الطريقة أو بعض كلماته. ولا ريب أن الاحتفاظ بالأداء الصوتي يمكن من خلاله رصد أي تطور على اللهجة العامية المصرية قد يظهر فيما بعد.

ولعل هذا القيد الوارد في العنوان"العامية" يميز هذه الأمثال عن غيرها من أمثال العرب "التراثية" التي حفل بها تراثنا العربيّ، حيث ذكر النديم (ت٣٨٠هـ) أن عبيد بن شَرِيَّة (ت٦٧هـ) من أهل اليمن، وهو أول من أَلَّف كتابًا في الأمثال في خمسين ورقة في العصر الأموى بأواخر القرن الأول الهجري، وقد ضاع هذا الكتاب، واشتغل كثيرون من أدباء البصرة والكوفة في إبان التَّمدن الإسلامي بجمع أمثال العرب منهم صُحَار العَبْدِي (ت ح٤٠هـ) الذي كان معاصرا لابن شرية ويونس النحوي المتوفى (ت١٨٢هـ) وأبو عبيدة سنة (ت٢١١هـ) وثعلب سنة (ت٢٩١هـ) (١٣) والمفضل الضَّبِّي (ت١٧٨هـ) في كتابه "أمثال العرب" الذي جَمَعَ فيه أمثالا كثيرة في ثوب القصة والحكاية، ولا ريب أن هذه الأمثال ليستْ عاميَّة وإنما كانت بلغة تناسب الفترة التي دوَّن فيها الضبي كتابه إذ تضمَّن أمثالا جاهلية وإسلامية، وأيضا لأبي فيد مؤرج السدوسي (ت١٩٥هـ) الذي ألف كتابا بعنوان "الأمثال" ولم يلتزم فيه أسلوبًا محددًا في التبويب أو الترتيب وعُنِى كثيرا بالجوانب اللغوية والشعرية. واستمرَّ هذا النمط من التأليف في صورة أخرى راعت ترتيب الأمثال حسب موضوعها حيث صنفها أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت١٥٧هـ) في كتابه الأمثال حسب مضمونها ووزعها على أبواب ويشتمل كل باب على أمثال. وقد عرفت مؤلفات الأمثال نمطًا آخر من الترتيب على يد حمزة بن على الأصفهاني (ت٣٦٠هـ) صاحب

"الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" فهو أول من رتبها على حروف المعجم، ويدخل- في هذا النمط من البحث الأمثال وترتيبها على حروف المعجم- كتاب "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) الذي اعتمد فيه على الأمثال السابقة.

واستمرّ تدوين الأمثال العربية حتى القرن الخامس والسادس الهجريين، وذلك بظهور كتاب "مجمع الأمثال" لأبي الفضل أحمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ) و"المستقصي في أمثال العرب" جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وهما أكبر مجموعتين في الأمثال العربية القديمة [١٤] وصفوة القول أن هناك العديد من الكتب والدراسات التي عنيت بالأمثال القديمة تحقيقا ونشرا وتحليلا ووصفا مثل كتاب الأمثال العربية القديمة للمستشرق الألماني رودلف زلهايم (ت٢٠١٣م) في حين الأمثال العامية ما زالت في حاجة إلى محاولات للجمع والدرس والتحليل لمضامينها المختلفة حتى تكون استمرارا للمسيرة التي بدأها القدماء، على الرغم من أن هناك محاولات جادة ظهرت في العصر الحديث قامت بجمع الأمثال العربية الدارجة من أفواه الناس وأشار إليها صاحب كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع [١٥]، وذلك ما يسعى إليه البحث عن طريق استكناه المضمون العقدي من خلال الأمثال العامية المصرية.

٢- صناعة شعبية:

معلوم أن الأمثال كلها شعبية، أي تنسب إلى الشعوب التي صنعتها وليست منسوبة إلى شخص محدد؛ كما في سائر الفنون الأدبية الأخرى التي تنسب إلى أصحابها كالشعر والرواية والقصة والمسرحية؛ ولذلك اختلفتْ لهجاتُها من مكان لآخر. فالأمثال العامية تُولَد في محضن المجتمعات على ألسنة العوام الذين عركتهم الحياة خبرةً وتجربةً، وتمتاز بأنَّها لا تنتمي لطبقة دون أخرى- وإن كانت تحيا بين العوام على العكس من الطبقات العليا من المجتمع؛ إذ يتخففون من استعمال الأمثال العاميّة إلا قليلا وإن كانوا يسهمون في إنتاجها؛ ولذلك نجد أن الأمثال العامية عبرتْ عن المعتقدات والتصورات الشعبية بل والخرافات والأساطير التي يؤمن بها الناس أحيانا في حياتهم بصورة حيَّة تمتزج بواقعهم، وتبقى سائرة على ألسنتهم كلما جَدَّ لهم

موقف، فهي على العكس من الفلسفة العالية أو الحكم التي تولد في أبـــراج عاجيـــة. ومن ثم رأى توريانو TORRIANO (ت١٦٦٦م) أن الأمثال العامية تمثـــل فلســـفة الجماهير صاحبة الجهد الحقيقي في بناء الدول [١٦] ومجمع الحكمة بها التي تكشـــف عن عقلية أبنائها وطريقة تفكيرهم ومعتقداتهم وأديانهم وشعورهم بلهجة سهلة بسيطة تتداولها الألسن في إيجاز شديد فضلا عن نظرتهم الخاصة للحياة بصفة عامة. لذلك قال الأستاذ خيري شلبي: "الأمثال العامية هي ديوان الحياة عند الشـــعب المصـــري ربما دون شعوب العالم كله... المثل قيمة معنوية تولدت من المكابـــدات واحتكـــاك المشاعر بالمواقف واصطدام المواقف بالموروث العقائدي ولهذا اكتسبت الأمثال قوة القانون وشرعية الشريعة وتحولت إلى عملة متداولة تكون في كثير مـــن الأحيـــان أقوى من العملة النقدية" [١٧].

٣- الشفهية:

الأمثال العامية عبارة عن أقوال موجزة، تمتاز بالرواية الشفهية التي تعبـــر عن خبرة الشعب اليومية وتجربته السلوكية في الحياة، ومن ثم فالمثل هـــو حكمـــة الشعب أو ثقافة الشعب [١٨] وفلسفته التي تعبر عـــن وجـــدان الشـــعوب ومشـــاعرها وانفعالاتها النفسية وما يؤثر فيها بلهجاتها العامية المحلية، ولذلك فإنهـــا تـــؤثر فـــي قطاعات كبيرة من الناس؛ لأنها نتاج تفاعل وتداول شفهي يصل إلـــى كـــل النـــاس بسهولة ويسر، ولم تدوَّن هذه الأمثال ابتداء وإنما صدرت عن أفراد مجهولين إلـــى محيطهم الاجتماعي الذي تحيا هذه الأمثال في أوساطه وتنتقل شفاهة ثم تـــأتي بعـــد استقرارها وشيوعها مرحلة تدوينها وجمعها وترتيبها.

٤- الشيوع والتداول:

مما يفرق به بين الحكمة والمثل أن الأخير يشترط فيه الـــذيوع والانتشـــار، فعلى الرغم من أن أبو الفرج ابن هندو (ت٤٢٠هـ) قد ألـــف كتابـــا ســـماه "الكلـــم الروحانية من الحكم اليونانية" "أثبت فيه من كلمات الفلاسفة اليونانيين ما يجري مـــع الأمثال السوائر ويدخل في حاذ النوادر دون ما يُعَد من غامض الفلســـفة" [١٩] فـــإن

حكمه المذكورة لم تَسِرْ على ألسنة الناس مسرى الأمثال العامية، ولعل هذا الشرط الذيوع والانتشار، وهو ما اشترطه ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في الأمثال الفصيحة حيث قال: "لم يَسِرْ شيء مسيرها (أي الأمثال) ولا عمَّ عمومَها حتَّى قيل أَسْيرَ من مَثَلٍ" [٢٠] وأضاف المرزوقي بالنسبة للأمثال العامية قوله: تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول.[٢١] بين العامة والخاصة، ويكثر على ألسنة الفقراء دون الأغنياء والمرأة دون الرجل، فهي كالعملة السائرة بين الناس. وقد تسير بعض الحِكَم مَسْرى المثل؛ إذا صارت حية على ألسنة الناس في مواقفهم الحياتية المختلفة على الرغم من كونها في الأساس حكمة، ولكنها قد تأخذ حُكْم المثل في الشيوع والانتشار؛ ولذلك نجد في كتب الأمثال بعض التعابير والحِكَم التي سارت مسرى المثل.

والحق أن انتشار الأمثال الشعبية يشير إلى تداولها في ممارسات متجددة شارك فيها كثير من الناس، فمنهم من كانوا منتجين لها أو مستهلكين أو مساهمين- على الأقل- في تعديل مسارها سواء بالإضافة إلى المثل بحسب الحيز الاجتماعي واللهجة الخاصة والمكان الذي تمارس فيه بحيث تكتسب معاني جديدة في حياتهم، ولا شك أن حركة الأمثال في تداولها ما بين الأفراد كمنتجين والجماعة كمستهلكين ومساهمين في صناعة الأمثال أسهمت في عملية تدول الأمثال العامية وإعادتها للحياة مرة أخرى وانتشارها عبر مسارات الطبقة الواحدة أو عبر طبقات المجتمع في حركة دائرية ما بين علاقات الإنتاج (الأفراد) والتوزيع (الأسرة أو الجماعة أو الطبقة) والاستهلاك (المجتمع). [٢٢]

٥- الإيجاز والتأثير:

تتسم الأمثال العامية بالإيجاز حيث تكتنز في لفظها المواقف الطويلة ذات المعاني الغزيرة، في عبارة موجزة تتسم بصفات خاصة ذكرها إبراهيم النظام (ت٢٣١هـ) بقوله: "تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة" [٢٣] ولذلك فإنه يُضرب للأحوال والمواقف المستجدة تشبيهاً له بسبق مورده في أحوال مضت؛ مما يجعلها تترك في النفس أبلغ الأثر بما قد يغني أحياناً عن الدليل والبرهان.

ثالثا: علاقة الأمثال والعقيدة:

استعمل القرآن طريقة المثل في الإقناع بالدين عامة والعقيدة خاصة إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] فعلى الرغم من أن القرآن الكريم كتاب الله الذي تحدَّى به العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مفتريات أو بسورة من مثله، فالتحدى لأفصح الناس لسانا وأحسنهم بيانا هو أن يأتوا بالنظير أو الشبيه لكلام الله تعالى، ولم يخل قسم من أقسام العقيدة الكبرى: الإلهيات والنبوات والسمعيات من استعمال المثل في بيانه، ففي إثبات وحدانية الله ضرب الله المثل على شهادة التوحيد–لا إله إلا الله– إذ شبه الكلمة الطبية كلمة (التوحيد والإيمان) بالشجرة الطيبة وفي المقابل شبَّه كلمة الشرك بالشجرة الخبيثة، قال الله تعالى عن مثل الكلمتين: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، أي أن جذور الإيمان إذا كانت راسخة في القلب أثمرت أعمالا صالحة أو فروعا تطاول عنان السماء تمهيدا لرفعها إلى السماء، أما إذا كان القلب ينطوى على الشرك والكفر فأعماله إن بدت صالحة ستكون هباء منثورا فلا أصل لها في الأرض ولا قرار كما ورد في المثل العامي **(زَي الكَمَأَه لا أصْل ثَابِتْ، ولا فَرْع نَابتْ)** وذلك حال المتزعزع في أحواله [٢٤]، فالإيمان بالتوحيد هو الذي يثبت القلب ويصلحه كما أخبرنا الرسولﷺ: "ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" [٢٥] ولا ريب أن طريقة القرآن في توضيح الحقائق الإيمانية المجردة بضرب المثل بالشجرة كما ورد في الآية يعد مقرباً ومحبباً إلى النفس الإنسانية؛ لاسيما إذا كانت الصورة المعبرة عن المثل منتزعة من الواقع الذي اعتادت عليه النفس في مشاهد الحياة اليومية حتى تَمْثُل صورة المثل في ذهن الإنسان العالم بأصول الدين عند كل شجرة يراها، وصدق الله إذ يقول في آية أخرى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وقد استعمل الله تعالى المثل كذلك في بيان ضرورة

الإيمان بما أُرْسِل به النبيون وما أنزل عليهم من كتب حيث شبَّه الله بني إسرائيل الذين أرسل الله لهم موسى بالتوراة وعدم انتفاعهم بما فيها وتحريفهم لها بأنهم كالحمير التي تحمل الكتب ولا تنتفع بما فيها قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة: ٥] واستعمل القرآن المثل كذلك في الاستدلال على ضرورة البعث في الآخرة حيث افْتُتِحَتْ أواخر آيات سورة يس بقوله تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] وهناك دراسات كثيرة تناولت الأمثال القرآنية التي ضربها الله عزوجل في كتابه [٢٦] وقد ورد في السنة النبوية كذلك استعمال الرسول الكريمﷺ للأمثال في أحاديثه المتنوعة[٢٧] ولكن لا توجد دراسات كثيرة قد تناولت العقائد من خلال استعمال الناس اليومي للأمثلة العامية التي أسهم في صناعتها المجتمع كله لاسيما المجتمع المصري.

ومما هو جدير بالذكر أن المثل القرآني كان أحد الركائز الأساسية التي أسهمت في صناعة المثل الشعبي حيث ترسخت المعاني القرآنية من خلال ارتباط المسلمين بأصولهم الدينية وكذلك ما تثمره خطب الجمعة تأثير كبير على العوام والثقافة الشعبية، وقد استمرّ المثل العاميّ معبرا عن جوانب العقيدة الإسلامية المتنوعة فضلا عن ضرورة الارتباط بالأصول والجذور؛ إذ وجدنا أن هناك أمثالا عامية قد دعتْ إلى المحافظة على الأصول، ولا ريب أن أركان الإيمان هي أصول الدين الستة، ومن هنا شاع استعمال لفظ "الأصول" في سياقات اجتماعية مختلفة عن السياق العلمي، حيث ورد في الزواج المثل الذي يقول: **(عَلَى الأَصْل دَوَّر)**، وقولهم كذلك **(اللِّي مَلْهُوْش أَصْل مَلْهُوْش فَرْع)** ومعلوم أن الأصل هو ما يبنى عليه غيره، وقد ينساها الإنسان في ظل مستجدات العصر وأحداثه أو متابعة منه أنماط الحداثة وما بعدها، ولعل المثل الذي يشيد بالماضي في مقابل الحاضر يقصد منه عدم نسيان الأصول والمباديء والقيم:**(اللِّي مَلْهُوْش مَاضِي مَلْوُش حَاضِر)**، وكذلك قولهم:**(مِن فَات قَدِيمُه تَاه)**، وبناء عليه نجد أن البحث عن مصادر للأمثال التي شكلتْ الوعي الجمعي الإسلامي أمرٌ مهم لاسيما الأمثال ذات المضامين العقديّة كما سنوضحه في الآتي.

المبحث الأول: الأمثال العامية في مسائل الإلهيات:

لا ريب أن الأمثال العامية قد عبرت عن تصور ما عن الإله الذي يخضع له كثير من الناس طوعا أو كرها، ولكن يبقى معرفة ما المسائل التي تطرقوا لها وكيف فهموها وأوجزوها؟ وهل أمثالهم العامية عن الإله تطابقت مع المعاني الواردة عنه سبحانه فيما أوحى الله به إلى الأنبياء والرسل؟ ولا يخفي مدى المخاطرة التي قد يقع فيها الحس الشعبي مع إله وصف نفسه في كتابه بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والإله مأخوذة من أَلِهَ يَأْلَه يعني تعبد، ومألوه أي التعبد بحب له في ذاته وصفاته وأفعاله وفقا لمبدأ العقل فما يجب في حقه تعالى، وما يجوز عليه من الممكنات، وما يستحيل عليه سبحانه، ومن المعلوم أن مسائل الإلهيات تتضمَّن ركنين من أركان الإيمان، وهما: الإيمان بالله تعالى والإيمان بالقدر. ولا يخفى ما بين الركنين من صلة على الرغم من أن الأول منهما هو أول أركان الإيمان، والثاني هو القدر وهو الركن السادس منها؛ والجامع بينهما أن الإيمان بالله تعالى يتضمّن الإيمان بصفاته العلى، ومنها صفة العلم الإلهي الأزلي الذي يتعلق بالممكنات الواقعة بتقدير الله وتدبيره في هذا العالم وما يتعلق كذلك بأفعال الإنسان فيه، وذلك هو الإيمان بالقدر. وقبل أن نتناول مسائل الإلهيات نقدم لها عددا من النقاط المهمة التي اتبعها المتكلمون وعلماء العقيدة كمقدمات مهمة للتأليف فيه:

أولا- العقل مناط التكليف:

العقل لغة معناه المنع، ورأى المحاسبي أنه "غريزة وضعها الله تعالى في أكثر خلقه، لم يطَّلِع عليها العباد بعضهم من بعض ولا اطَّلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس ولا ذوق ولا طعم وإنما عرَّفهم الله إياها بالعقل" (٢٨) وهو ما يُفارق به عن البهائم، ومن شأنه أن يضبط هوى النفس ويمنعها من الوقوع في الخطأ أو الوهم بالتنبه إليها، وللعقل مكانة كبيرة في الإسلام فهو مناط التكليف بل أشرف خِلْعَة كرَّم الله الإنسان وشرفه بها دون سائر الكائنات التي تشاركه الحياة، وذلك ما عبرت

عنه بوضوح الأمثال العامية، ولعل المثل الشائع **(الْعَقْل زِيْنَة لكل رَزِيْنَة)** قد أجاد في وصف ما اختص الله به الإنسان، فالعقل يزين الإنسان؛ لأنه يميز به بين الصواب والخطأ.

جدير بالذكر أن العقل ليس حالة ثابتة وإنما هو متفاوتٌ بين الناس في نموّه وتطوره بتراكم العلوم والمعارف وزيادتها يوما بعد يوم، وذلك يعني أن العقل يتجدد ويتطور باكتساب المعارف الجديدة عبر الزمن كما عَبَّر عن ذلك المثل **(فِي كُلّ يوم يّزدادُ ابنُ آدمَ عَقل جديد)** [٢٩] ومن ثم يلزم العاقل طلب الاستزادة في المعرفة عبر وسائلها المختلفة التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٧٨﴾ [النحل: ٧٨] ولو تأملنا الآية الكريمة سيتضح لنا مدى التطور العقلي الضروري للإنسان الذي جاء إلى الدنيا بعقل خال من المعرفة والعلم، ثم يطلب منه أن يزداد عقله بالعلوم والمعارف التي تستوجب شكر المنعم مع كل معرفة جديدة في كل يوم عبر وسائلها المخلوقة لله تعالى.

في مقابل العقلاء نجد فريقًا من الناس قد فقدوا أهلية العقل فلا تكليف عليهم كما أخبر الرسولﷺ بقوله: رفع القلم عن ثلاث: منهم "المجنون حتَّى يَعْقِل أو يفيق"[٣٠]، وهذا من عدل الله تعالى؛ لأنه كما يقول علماء الأصول- إذا أخذ الله ما وهب سقط ما وجب عليه من تكليفات اعتقادية أو شرعية، ومن هنا شاع مثلٌ عن الفاقدين لأهلية التكليف بأنَّهم في نعيمٍ بقولهم: **(الْمَجَانِيْن فِي نَعِيْم)**؛ لأنهم لا يتحملون مشاقَّ التَّكليف التي لا تتطلب وجود العقل فحسب بل إعماله أيضا تدبيراً وتفكيراً وتدبراً، فسَلامة الأعضاء شرطٌ مهمٌّ من شروط التكليف، ولعلهم لاحظُوا أثر إعمال العقل على حياة الإنسان النفسية والصحية فقالوا: **(ابْن الْهَبْلَة يِعِيْش أَكْتَر)**؛ لأنه ربما ورث من أمه عدم إعمال العقل، ومن ثم فلا يحمل همَّ شيء على الإطلاق مما يجعله ينعكس على صحته البدنية، ولعل المثل يشير إلى عدم الانتباه إلى ولدها أو حسده

بالنظر إلى حال أمه، بل رغب بعض الناس عن العقل وفضل الجهل عليه، وعبر عن ذلك المثل القائل: **(جَهْل يعُولْنِّي خَيْرٌ مِنْ عَقل أَعُولْه)** [٣١]، وهذه الأمثال تعبر عن تردد النفس الإنسانية وعدم رضاها بل طمعها فبدلا من الحمد على نعمة العقل حسدوا من فقده؛ ولذلك وجدنا مثلا يحض على عدم اتعاب العقل **(اتْعِبْ جِسْمَك ولا تتْعِبْ عَقْلَك)**.

الواقع أنه يمكن قبول الأمثال السابقة عن فقدان العقل إذا نظرنا إلى ما يقابلها عند العقلاء أنفسهم، فالعاقل المكلف أكثر مشقةً، والمشقة هنا تعني فعل ما تَنْفِر منه النفس أو ترك ما تشتهيه، ومن هنا شاع مثلٌ آخر يصف ما يُلاقيه العاقل المكلَّف من النَّصَب والتعب **(الْعَاقِل تَعْبَان)** [٣٢]؛ لأن العاقل لا يدع نفسه على هواها **(الْعَاقِل فِي غِفَارِة نَفْسُه)**، وإنما يحرسها بل يمنعها من النعيم المؤقت الزائل، وقد يتأمل تلك النعم بحثًا عن سببها، ولعل ذلك ما عبَّر عنه المتنبي (ت٣٥٤هـ) بقوله:

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيم وَأَخُو الجَّهَالة فِي الشَّقَاوَة يَنْعَم

فإذا كان ذلك هو حال العاقل المكلَّف الذي اسْتَعْمل عقله ومنع نفسه ما تشتهيه فإنه سيكون أكثر ارتياحًا وتحملًا لِلأَوَاءِ الحياة ومشاقّها إذا عرف شرف الغاية، إذ يقول المثل: **(أَصْحَاب الْعِقُوْل فِي رَاحَة)** [٣٣] لأنه يمتلك حرية الإرادة التي تمكِّنه من الاختيار بين الفعل أوالترك لشهوات نفسه، فليس مقلدا غيره في حَسْم أموره **(عَقْلِي فِي رَاسِي بَعْرَف خَلاصِي)** فإن فعل ذلك باستطاعته مختارا يكون مرتاحًا في الدنيا ومستحقًا للثواب في الآخرة، ومن هنا ينتفي التعارض الظاهريّ بين المثلين السابقين: **(الْعَاقِل تَعْبَان، وَأَصْحَاب الْعِقُوْل فِي رَاحَة)** باعتبار أن أصحاب العقول الرزينة والأعصاب الهادئة مرتاحون؛ لأنهم لا يورّطُون أنفسهم، ويحلون مشاكلهم بهدوء، ويتجنبون دائما الوقوع في المشاكل أو التدخل في شئون الغير. [٣٤] وإن كان هذا لا ينفي التعب ابتداءً، ولكن الاعتياد عليه يمنعه من الوقوع في أخطاء أو مشكلات

أكثر، وبناءً عليه نجد أن المثل العامي قد ربط بين الدين من جهة والعقل من جهة أخرى ربطًا محكمًا، ولعل المثل الشائع: **(اللِّي مَالُوْش عَقْل مَالُوْش دِين)**[٣٥] يعبر بوضوح عن هذه الحقيقة؛ لأنَّ وجود العقل يقتضي النظر في الدين فلا تعارضَ بينهما، وبذلك قد تُغْنِي الأمثال العاميَّة أحياناً عن المطولات الكلاميّة التي تدرء التعارض بين العقل والنقل؛ لأن العقل- كما قال الغزالي- شرعٌ من داخل والشرع عقلٌ من خارج، وهما متعاضدان بل متحدان. [٣٦] لأن العقل آلة النظر في النقل، ويبقى السؤال المهم هل للعقل دورٌ في معرفة الله تعالى لا سيما بعد تنازع العلماء في أول واجب على المكلف بعد سن البلوغ والعقل؟

ثانيا- النظر العقلي ومعرفة الله تعالى:

النظر في اللغة له معان عدة، ويُراد به هنا التَّفكر والاعتبار، وفي الاصطلاح كما ذكر القاضي عبد الجبار "هو الفكر؛ لأنه لا ناظر بقلبه إلا مفكرا، ولا مفكرا إلا ناظرا بقلبه، وبهذا تُعْلم الحقائق" [٣٧]، أو هو كما قال الباقلاني: "الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن" [٣٨] ومن المعلوم أن المتكلمين قد اتفقوا على وجوب معرفة الله عز وجل، واعتبروا أن النظر العقليّ من أول الواجبات على المكلَّف وإن اختلفوا حول المُوجِبِ للنظر أو طريق ثبوته، فرأى المعتزلة أن الموجب هو العقل الذي يستطيع أن يميِّز بين الحسن والقبح في حين أن الأشاعرة رأوا أن مصدر الوجوب هو ورد الشرع. [٣٩] قال الإيجي (ت٧٥٦هـ): "معرفة الله تعالى واجبة إجماعا، وهي لا تتم إلا بالنظر، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" [٤٠] حيث رأى الإيجي وجوب النظر العقلي في إثبات وجود الصانع ونبوة محمد ﷺ، وهما لا يثبتان إلا بالعقل لا النقل وإلا لزم الدَّوْر. [٤١]

وقد عبرتْ الأمثال العامية عن مسألة النظر العقلي باعتباره طريقًا إلى معرفة الله عزوجل من خلال مسلكين:

المسلك الأول، يؤكِّد أن معرفة وجود الله حقيقةٌ فطرية ثابتةٌ يجب الإيمان والتسليم بها، ومرجع ذلك الإيمان ورود الشرع، "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (٤٢) فوجود الله أمر فطريّ لا يحتاج إلى دليل أو برهان، كما قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ٥٣﴾ [فصلت: ٥٣] فالله هو الحق الذي تتجلى آياته في الآنفس والآفاق عبر الأزمنة المتطاولة؛ ولذلك قالوا: **(الله حَقّ)** ويضرب للإمعان في الإيمان وضرورة معرفة الله تعالى تسليما بما ورد عنه، وهذا المسلك عبر عن الصديقين. فالمثل يعبر عن الفطرة وإن كنا نستدل بالفطرة على وجود الله فالمثل يعد برهانا معبرا عن الإيمان بالله. وقد اعترف المشركون بوجود الله عزوجل كما أورد القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧]، فالمشركون عرفوا الله ولكنهم عبدوا الأصنام من دونه تقرباً إليه كما قال القرآن عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى٣﴾ [الزمر:٣]، فوجود الله حقيقةً أقرَّ بها إبليس نفسه "أَلَا تَسْمَعُ قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ١٢﴾ [الأعراف: ١٢]، وقَوْلُهُ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ﴾ [الحجر:٣٩]؟ فَإبليس مُقِرٌّ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، وَأَثْبَتَ الْقَدَرَ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ: {أَغْوَيْتَنِي}" (٤٣) لكنه فسق عن أمر ربه كبراً وغروراً وعناداً وكان من الكافرين بعد أن كان من كثرة طاعته في عداد الملائكة، ولعل المثل القائل: **(إبْلِيس يِعْرَف رَبِّنا لَكِنُّه يِتْخَابِث)** قد أشار إلى زيغ إبليس عن الحق وإضلاله لأتباعه من الإنس بحيث يشمل كل الأبالسة الذين يعرفون طريق الخير والحق ولكنهم يعدلون عنه كبراً وغروراً **(الْكُفْر عِنَاد)** أي أن الكفر يبدأ بعناد الإنسان وعدم تقبله للأشياء الصحيحة وإصراره على عمل الباطل والتمسك به(٤٤) بل يصدون عن الحق المبين كما قال الله عن المعرضين من قوم موسى عليه السلام: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...١٤﴾ [النمل: ١٤] فهؤلاء العصاة جميعاً من أتباع إبليس من الإنس يصدق عليهم المثل الشائع **(دُوْل**

ولَاد أَبَلْسَة) لاستجماعهم خصال الشر وإعراضهم عن سبل الخير التي فطرهم الله عليها.

أما المسلك الثاني فيربط معرفة الله تعالى بالعقل والنظر والاعتبار، حيث يقولون في المثل الشائع: **(رَبِّنا عَرَفُوْه بِالْعَقل)** [٤٥] فالله غيبٌ مطلق والعقل غيبٌ كذلك، وهو على أقل تقدير يشير إلى وظيفة العقل وضرورة ربط الأسباب بالمسببات كما ورد في المثل: **(ربِّنا جَعَل لكلّ شِيء سَبَب)** [٤٦]، فحركة العقل نظراً في مجال الكون توصل إلى ضرورة معرفة الله تعالى كما رأى المعتزلة، ولعلَّ هذا المثل كان من آثار الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة. ولذلك نجد أنَّ هناك مثلا آخر قد ربط بين العقل من جهة والدين من جهة أخرى باعتبار أن العقل بما أودع الله فيه من قانون السببية يوصِّل حتماً إلى معرفة الله أو الدين، **(اللِّي مَالُوْش عَقْل مَالُوْش دين)** وليس هذا الربط عقليًّا تكليفيًّا فقط بل فطريًّا في النفس الإنسانية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٣٠﴾ [الروم:٣٠].

وبناء على ذلك تكون الأمثال العامية قد عبرت عن الطريق للوصول إلى معرفة الله تعالى: طريق يعبر عن الإيمان والفطرة والتسليم بما أنزل الله **(الله حَق)**، وطريق العقل بأسبابه ومسبباته **(رَبِّنا عَرَفُوْه بِالْعَقْل)** وذلك في مقابل فريق الإنكار والعناد والمكابرة الذين يصدق عليهم المثل **(دُوْل وِلَاد أَبَلْسَه)**.

ثالثا- الإيمان بالله تعالى:

نتناول الركن الأول من أركان الإيمان في عدد من النقاط الآتية:

أ. معنى الإيمان بالله:

الإيمان لغة معناه التصديق، وقد ورد هذا المعنى في القرآن على لسان إخوة يوسف عليه السلام ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ١٧﴾ [يوسف: ١٧]. أما الإيمان

بالله عز وجل فيعني التصديق الجازم بما أخبر الله به عن ربوبيته وأسمائه (ذاته) وَصِفَاته وأفعاله التي انفرد بها وحده، وإخلاص الدّين لَهُ، وَصرف الْعبادة بِجَمِيعِ أَنْوَاعهَا الظاهرة والباطنة إليه وحده بما افترضه كما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب من عنده،: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ب.وجود الله عزوجل وأدلته:

تقرر الأمثال العامية حقيقة وجود الخالق سبحانه كما ورد في المثل: **(رَبِّنَا مَوْجُود)** أي أنه سبحانه ليس عدما، وأما إذا حُمِل على المعنى الظاهر- أي لكل موجود موجدا أوجده – فهذا غير جائز، والمعني الصحيح أنه موجود بمعنى واجد أي خالق، على صيغة مفعول بمعنى فاعل، وقد عبَّر المثل العاميّ عن الربوبية وصفاتها في العديد من الأمثال بلغة سهلة واضحة بسيطة تعبر عن تصور الإنسان العاميّ للوجود الواسع الذي لا يلتفت إليه إلا من خلال دنياه هو، وليس العالم الحادث المخلوق لله وحده، والذي عرَّفه المتكلمون بأنه كل ما سوى الله. (٤٧)

١) دليل الخلق:

فالعالم المخلوق هو الدنيا كما عبرتْ الأمثال العامية، فالدنيا هي عالم الإنسان الخاص به وحده كما قيل في المثل: **(دُنْيَاك مَا أَنْتَ فِيه)** فالعاميّ لا يعنيه العالَم الطبيعي المخلوق أو ما وراء العالَم حسب تصور الفلاسفة أو المتكلمين، وإنما يَعْنِيه عالُمه الخاص فقط أو دنياه كما ذكر في المثل السابق، ولعل استعمال لفظ "الدنيا" هو المعادل الموضوعي للفظ "العالم" حيث عبرتْ الأمثال عن ذلك في المثل التقريري الشائع، إذ يقولون: **(رَبِّنَا خَلَقَ الدُّنْيَا فِي ستْ إِيَّام)** فالدنيا التي خلقها الله يُقصد بها هنا العالم، وهناك مثلٌ آخر يؤكد على هذا المعنى التقريري ولكن بأسلوب النفي إذ قالوا في المثل: **(الدُّنْيَا مَا تخَلَقَتْشِي فِي يُوْم)** (٤٨) فالدنيا هنا تشير إلى معنى خَلْق

العَالَم كلِّه، وإن كان مضرب المثل في التروِّي وعدم العجلة؛ لأنَّ الله تعالى- وهو القادر على كلِّ شيء- قد خلق العالم كله في ستة أيام، وليس في يوم واحد كما يتعجَّل بعض الناس، كما قال في كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، فالأفضل ألا يكون الإنسان عجولا.(٤٩)

ولا ريب أن هذه القدرة الإلهية على الخلق والتغيير مطلقة، ومن ثم ضُرِبَتْ أمثالٌ أخرى في إثبات طلاقة القدرة الإلهية على الشيء وضده حيث قالوا في المثل: **(يخْلَق مِن ضَهْر الْعَالِم فَاسِد)** أي يخرج الشيء من نقيضه ردا على الذين يستحيل في عقولهم التصديق بخروج الشيء من ضده، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم:١٩] أو يلفت نظر الإنسان إلى طلاقة القدرة في الخلق بشيء لا قدرة له في ذاته؛ لأنه شديد الضعف، كما يقولون كذلك في المثل: **(يجْعَل سِرُّه فِي أَضْعَف خَلْقُه)**، حيث إننا قد نجد إنسانا نحسبه ضعيف البنية، ولكن لديه طاقات جبارة قد تدعو للعجب، وقد ضرب الله مثلا بطلاقة القدرة الإلهية في الخلق بالذبابة التى تحدَّى المشركين أن يخلقوها بله أن يكون في إمكانهم استرداد ما سلبته من دمائهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] وقد استعمل الحق سبحانه مثل البعوضة والذباب والنملة أو الذرة في إثبات خلق المجرة لتقريب الذهن في إثبات الصانع. (٥٠)

٢) دليل الحدوث:

ومعنى أن العالم (=الدنيا) مخلوق أنه محدث، أي له زمن بداية ونهاية، وما دام الإنسان سلَّم بخلق البداية فيلزمه التسليم حتما بالنهاية على سبيل التقابل اللفظي كما شاع في المثل: **(اللِّي لِهْ أَوَّل، لِهْ آخِر)** أو **(كُلّ بِدَايَّة لِهَا نِهَايَة)** فالعالَم الطَّبيعيّ

أو الدنيا سيكون لها نهاية كما كان لها بداية؛ أي للعالم فترة زمنية قدرها الباريء وحده؛ ولا غرو في ذلك لأنه وحده ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وما دام الله عز وجل قد سمَّى نفسه بهذا الاسم فقد انفرد بالخلق مكانًا وزمانًا في البداية والنهاية مصداقًا لقوله تعالى عن خَلْق العالَم: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] وبالنسبة لنهاية كل إنسان في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [غافر: ٦٨] وبالنسبة إلى بداية العالم في أزله وأبده قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧] ومن ثم فالدنيا ما بين البداية والنهاية- متغيرة باستمرار لا تَقرّ أبدا **(الدُّنيا مَاهِيْش دَايمَه)**، بما في ذلك الإنسان الذي يحيا فيها مدة قصيرة؛ الأمر يدعو الإنسان أحيانا إلى العجب سواء من أمر تغيُّر الأحوال: أحوال الخلق وشئونهم **(الدُّنْيَا بَدَل، يُوم عَسَل، ويُوْم بَصَل)** أو أحوال الإنسان وتقلباته بالمعنى الصوفي كما قالوا في المثل: **(سُبْحَان مُغَيِّر الأَحْوَال)** فالأحوال تتغير على قلب الصوفي أو تغير أحوال الإنسان الاجتماعية أو الاقتصادية من الفقر إلى الغنى أو العكس بدرجة تدعو إلى العجب، ومن ثم فلا ثبات لشيء على الإطلاق، والواقع أن التغيُّر يشمل سائر المخلوقات على الرغم من كونها قد وُجِدَتْ لغاية وحكمة كما قال المثل: **(للهِ فِي خَلْقِه شئُوْن)** [٥١] ولكن يبقى التغير هو عين الثبات، ولذلك فإننا لا نَعْدَم هذه الملاحظة من الإنسان لنفسه، حيث إنه يتغير باستمرار من حال إلى حال، وذلك ما استدل به الأشعري على أن للكون صانعا في كتابه اللمع إذ قال: "أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام، كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما وعظما، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا ولا أن يخلق لنفسه جارحة، يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز، ورأيناه طفلا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا، وقد علمنا أن لم ينقل نفسه من حال الشباب" [٥٢]، ولعل المثل العامي قد عبر عن ذلك

باستمرار التغير بقولهم: **(دَوَام الْحَال مِنْ الْمُحَال)** فسبحان من له الدوام والبقاء، فهو وحده الذي يغير ولا يتغير، ولعل ذلك هو دليل حدوث العالم الذي استدل به المتكلمون على وجود الله عزوجل، ولكن العوام عبروا عنه بأسلوب التغير باعتباره من الحقائق الواقعة للعيان. فالدنيا- عند العوام- هي المعادل الموضوعي للعالم، وهي متغيره لا تدوم، وكل متغير لا يدوم فهو حادث.

٣) دليل العناية الإلهية:

إذا كان الله تعالى هو موجد العالم وخالقه فإن صلته بالعالم الذي أوجده على غير مثال سابق لم تنقطع كما رأى أرسطو، وإنما صلته به متجددة في كل آن، وقد أوضحتْ الأمثال العاميَّة هذه الصلة؛ إذ ورد في الاعتماد على الله تعالى إذا حزب الإنسان أمر ما قالوا في المثل: **(اللِّي مَا لُه أَب لُه رَبّ)** [٥٣] أي إذا انقطعتْ صلة اليتيم بالسبب القريب"الأب" الذي يُربيه ويرعاه فلن تَنْقطع أبدًا بالسبب البعيد "الرَّب" فهو وحده المربيّ البَّاقي،وقد عبّرت الأمثال عن وجود الله وعنايته بالمخلوقات كما في المثل القائل: **(رَبِّنا مَوْجُود فِي كُلِّ الْوِجُوْد)** فهذه الإضافة "في كل الوجود" لا تعدُّ تعبيرا عن وجود الله عز وجل فحسب بل تدبيره لكل الموجودات واتِّصاله بها دونما حلول أو اتحاد بمخلوقاته كما قد يُفهم من ظاهر المثل، ولعل هذا الفهم هو ما يتناسب مع بساطة الخيال الشعبي إذا أحسنا الظن، فالله موجود في كل الوجود، بمعيته وتدبيره ورحمته لا بذاته، أما إذا فهم على المعنى الحرفي بمعنى أن الله داخل العالم بذاته حلولا في المكان، فهذا فهمٌ سقيمٌ يخالف العقيدة الصحيحة؛ لأنَّ الله تعالى هو خالق الزمان والمكان فلا يحلُّ في شيء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه كما قال تعالى عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وإن كان المعوّل عليه في النهاية هو نيَّة ضاربُ المثل. وربما تكفي هذه الأمثال عوامّ الناس عن الحاجة إلى الأدلة والبراهين الدالة على إثبات وجود الله تعالى وحدث العالم على النحو الذي ذهب إليه المتكلمون أو الفلاسفة.

ج. توحيد الله عز وجل:

وحَّد يوحد توحيدا، جعل الشيء واحد، وعدد الواحد يتسلسل فنقول اثنان أو ثلاثة... ومن ثم فالانتقال من الكثرة إلى الوحدة يحتاج إلى تكلف بوزن تفعيل أو توحيد، وهذا التوحيد لا يكون إلا بنفي وإثبات، وهما ركنا كلمة التوحيد: لا إله (نفي تام مطلق لجنس الإله) مستثنيًا الإله الواحد الحق، إلا الله (إثبات تام) أي لا إله معبود بحق إلا الله فلا إله موجود ويستحق للعبادة إلا الله.

والتوحيد- اصطلاحا- هو إفراد الله تعالى في ربوبيته (لا رب سواه) وألوهيته (لا شريك له) وأسمائه وصفاته (لا مثيل له)، فهو وحده موجد العالم ومصرفه بأفعاله، وهو وحده المستحق للعبادة بأن تتوجه أفعال العباد إليه وحده، فضلا عما تفرَّد به عن خلقه من أسمائه وصفاته وألوهيته بنفي الشريك والمثيل عنه وإثبات استحقاقه للعبادة وحده والإحسان إليه. ومن الأدلة العقلية على توحيد الله عز وجل حسب ما جاءت به الأمثال قولهم: (الْمَرْكِب اللَّي فِيْهَا رَيِسِيْن تِغْرَق)؛ فالمركب (مصنوعة) هي المعادل الموضوعي للعالم (مخلوق)، فكما أن المركب له ربَّان واحد يقوده كي لا يغرق، فكذلك يجب للعالم أن يكون له صانعا واحدا كي لا يفسد؛ لأن الإثنين- كما قال الأشعري- "لا يجرى تدبيرهما على نظام و يتّسق على إحكام، ولا بد أن يلحقهما العجز أو واحدا منهما، لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنسانا وأراد الآخر أن يميته لم يَخْلُ أن يتمَّ مرادهما جمعيا أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر. ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيًّا ميتًا في حال واحدة. وإن لم يتم مرادهما جمعيا وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما. وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون إلها ولا قديما" [٥٤] ومن ثم ثبت أن الصانع أو الخالق واحد، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فلو كان في السموات والأرض أكثر من إله لفسد نظامها ولكن السموات والأرض

متسقة بإحكام نظامها وليست فاسدة. إذا ليس هناك أكثر من إله، وإنما هو إله واحد الذي أوجد هذا العالم بإحكام، فقد اجتمع في هذه الآية الدليل العقلي (القياس الاستثنائي) والنقلي على توحيد الله عز وجل، ونفصل القول في أنواع التوحيد حسب الأمثال العامية الورادة كالآتي:

١- توحيد الربوبية والألوهية:

لا نجد اختلافا في الأمثال العامية حول أنواع التوحيد الثلاثة المعروفة لدى المتأخرين من السلفيين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات على النحو الذي دار بين الدارسين في العصر الحديث [٥٥]، وإنما ساقوا الأقسام كلها بطريقة سهلة ميسرة تتناسب مع الفطرة السليمة، إذ عبروا عن وحدانية الله تعالى في المثل الشائع: **(الرَّب وَاحِد، والعُمْر وَاحِد)** [٥٦] ولعلنا نلحظ أن هناك ربطًا بين الأعمار والآجال الإنسانية المقدرة سلفاً والرَّب الواحد (المحيي المميت) فهو وحده المنفرد بالإحياء والإماتة والتقدير والتدبير. ومن ثم قالوا في المثل معبرين عن توحيد الله عزوجل الذي انفرد به عمَّا سواه: **(ما وَاحِدْ إلاَّ الله)** فإذا أقرَّ الإنسان لله تعالى بأفعاله الكونيَّة التي انفرد بها وحده كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير فلا بُدَّ أن تكون أفعال الإنسان– في المقابل– يبتغى بها وجه لله تعالى وحده؛ لأنه المستحقُ للعبادة وحده دونما إشراك معه أو عبادة شيء دونه، فلا يطاع سواه ولا يعبد غيره، وإلا صدق على من يفعلون ذلك المثل الذي قال: **(يَأكُلْ خِيْرُه ويُعْبُد غِيرُه)**، ويضرب المثل لمن لا ينكر النِّعم، ولكنه يتوجه بالشكر إلى غير المنعم، ولعل هذا المثل يكون ترجمةً وتصديقًا بمعنى هذه الآية التي خاطب بها الله تعالى المشركين: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝﴾ [قريش: ٣-٤]، أي أن العبادة المستحقة تكون لمانح الأمن النفسيّ من الخوف والأمن البدنيّ من الجوع، فلا بد للإنسان أن يعرف المنعم الحقيقي بعقله نظراً، ويشكره بقلبه إخلاصًا له وحده، أي يعبده وحده بأقواله وأفعاله وتصرفاته بحيث تكون تابعةً لأوامر

المنعم المتفضل ونواهيه دون أن يكون مقلداً غيره بلا برهان أو دليل، كما زعم المشركون أيضا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴿٢٣﴾ [الزخرف:٢٣] فالإنسان الذي ينقاد وراء الناس دونما تفكير أو برهان يكون إمَّعَة يفعل مثلما يفعلون، فإنْ أحسنوا أحسن وإنْ أساؤوا أساء كما قال المثل: **(مَعَاهُم مَعَاهُم، عَلَيهُم عَليهُم)**، وحال من يفعل ذلك لمصلحة خاصة فلا يصدر عن قناعته قد صوَّره المثل الذي قال: **(إذَا لَقِيتْ نَاس بِيعْبُدُوا العِجْل، حِشْ وارْمِيلُه)** [٥٧] ومعناه إذا وجدتَ قوماً يشركون بالله فلا تخالفهم أو تعارضهم بعلمك بل نافسهم في زيفهم وملَقهم وتخاذلهم؛ وذلك من الفساد البيِّن؛ لأن الأصل أن يُخلص العابد للإله الحق والمُنْعِم الحقيقي فيعبده وحده، وطالما عرف الإنسان الحق فيجب عليه أن ينصره ويقف معه عزيزاً دونما ذلَّة لا أن يسير مع القطيع حيث سار، ويصبح على المستوى الشخصى **(كِلْمِة تِجِيْبُه وكِلْمَة تُوَدِّيْه)**، وقد ميّز الحق سبحانه في سورة الكافرون بين العبادة لله الحق وعبادة أهل الباطل (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴿٣﴾) [الكافرون: ١-٣] فالإسلام نهى عن مداهنة ومسايرة أهل الباطل في باطلهم بل البراءة من أعمالهم المنافية تماما للدين الحق، وأمر الرسولﷺ المسلم بأن يكون فاعلا في مجتمعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" [٥٨] فالتغيير وفق استطاعته يتدرج، بيده ثم بلسانه ثم بقلبه وذلك أضعف الإيمان وقولهﷺ: "لا يمنعنَّ أحدُكم رهبةَ النَّاس، أن يقول بحق إذا رآه أو شهده" [٥٩]

فالأجدر بالمكلف العاقل أن يوطِّن نفسه على إتباع الحق حتَّى لو عاني وحده ضيق ذات اليد صابرا على ما يلقاه من أذىً دونما تذمُّر أو مذلَّة أو شكَاية لأحد؛ لأنه كما شاع المثل **(الشَّكْوَى لغيْر الله مَذَلَّة)** [٦٠] فالأولى أن يسأل الله وحده، وهذه إحدى الكلمات المهمة التي علَّمها الرسول ﷺ لابن عباس بقوله- وقد كان رَدِيْفَه-: "إذا سألتَ فسْأَلْ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله" [٦١] أما اللجوء إلى غيره أو الاستعانة

بغيره فإنها تورثُ الخذلان كما قال المثل المبني على التقابل اللغوي: **(جِبْتَك يَا عَبْد المُعِين تِعِينِّي، لَقِيتَك يَا عَبْد الْمُعِين عَايِزْ تِتعَان)** أي أن المستعين بغير الله يطلب المعونة والمساعدة ممَنْ يسبقه إليها، فظهر أنه ليس أهلا للاستعانة به، وتسميته هنا بعبد المعين تسمية لطيفة؛ لأنه أتي به ليعين، فخير اسم له هو عبد المعين [٦٢]، ومن ثم فهو قد أخطأ في عدم استعانته بالله تعالى ابتداءً؛ لأنَّ الله تعالى هو القويّ المُعِين﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وبناءً عليه يلزم الإنسان أن يعبد الله وحده حيث إن هناك مثلا آخر يؤكد على ضرورة الاعتماد على الله وحده: **(الله الله، والمَايِلَه يِعْدِلْهَا الله)** حيث يضرب في التوكل على الله وتأميله تعالى في إصلاح الأمور. [٦٣]

النفاق العملي في الأمثال العامية:

في البداية يجمل بنا أن ننوه إلى أن العلماء قسموا النفاق إلى نوعين:

الأول، نفاق اعتقادي، أي يُبطن المرء الكفر والشرك ويظهر الإسلام في أقواله وأفعاله، وقد حكم الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦] ، يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] .

والثاني نفاق عملي، لا يبطن الكفر، ولكنه مسلم تخالف أقوله أفعاله أو صدرت أفعاله عن نيَّة غير صادقة لله، وهذا النوع لا يستوجب الكفر، وإنما يستوجب التوبة بعكس النوع الأول، وهذا النوع الثاني يدل على عدم الإخلاص لله تعالى بأن يُحْسن في أقواله وأفعاله إرضاءً لله تعالى وحدَه وليس لإرضاء النَّاس من دونه. لاسيما أن العمل شرط كمال للإيمان بالله، وهو ثمرة له، وبناء عليه سنشير إلى صور مختلفة للنفاق تتجلي بوضوح في: العبادات، والمعاملات، وما يسمى بالنفاق الاجتماعي، ونعرض لها كالآتي:

أ. النفاق الاجتماعي:

عبرتْ الأمثال العامية عن ظاهرة النفاق العملي على مستوى الشخصية، ويسمونه أحيانا النفاق الاجتماعي أو الخُبْث، وهي أن يُظهر الإنسان أمام الناس في المجتمع غير ما يبطن مراءة لهم، حيث ورد في المثل الذي يقابل بين الجواني والبراني أو الظاهر والباطن على سبيل التناقض: **(مِنْ بَرَّه هَالله هَالله، ومِنْ جُوَّه يِعْلَم الله)**، فالظاهر هنا غير الباطن، وقد عبروا أيضاً عن صورة التناقض بين الباطن والظاهر بصورة تمثيلية تقابل بينهما؛ إذ قالوا: **(مِنْ بَرَّه رُخَام، ومِن جُوَّه سُخَام)** والسخام هو سَوَاد الْقِدْر، فالظاهر حسب المثل هو النظافة والنعومة والصلابة في حين أن الباطن مُكْتَظٌ بالسواد وسخًا وقذارةً، وقالوا أيضا عن تناقض المظهر الخارجي مع المخبر الداخلي **(الرَّدَا طَوِيْل واللِّي جُوَّاه عَوِيْل)** فالمظهر هو الثوب الجميل الطويل، والمخبر هو الخسة والنذالة، والعويل هو الشخص يفتقر إلى القيم والمباديء التي يتمتع بها الشخص الأصيل، وذلك حال المرأة التي يناقض باطنها ظاهرها أثناء تعزية غيرها **(شَامتَه ومْعَزِّيَّه)** [٦٤] ففي الظاهر تُظهر العويل والصراخ على المتوفي، وهي في حقيقتها تُضمر الشماته في الميت وذويه، وقالوا أيضا في مخالفة ظاهر القول للسلوك الفعليّ باستعمال حاستي السمع والبصر: **(أَسْمَع كَلَامَك أَصدّقَك، أَشُوْف أُمُورَك أَسْتَعْجِب)** فالسمع الذي يتناسب مع الكلام المزعوم يقابله البصر المتناسب مع واقع الحال العجيب، وقد عبر القرآن عن الانفصام بين الأقوال والأفعال في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ۝ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ۝﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] فكلام المنافق يُعجب وفعله مفسد، وقالوا في مثل آخر يخالف الفعل القول على سبيل التقابل بين سلوكين مختلفين بالفعل: **(ضَرَبْنِّي وبَكَى وسَبَقْنِي واشْتَكَى)**.

وقد عبرت الأمثال العامية عن حالات مختلفة من الانفصام الشخصي للسلوك أمام الجماعة التي يعيش فيها، ومنها أنهم قالوا عن حال الفقير الجائع بالفعل ولكنه

يتظاهر بالشبع الكاذب: **(زَيّ شَحَّات التُّرْك جَعَان، ويقول: مِشْ لازِمْ)** فعلى الرغم من إلحاح الشعور الباطني بالجوع على الفقير، وهو غريزة قوية فإنَّ ظاهر قوله يدلُّ على الشِّبع الكاذب (مش لازم)، وقد يكون هذا القول مقبولا إنْ كان على سبيل التَّعَفف، أما إذا كان على سبيل الادَّعاء والتَّمظهر– وهو الأغلب– فهو زيفٌ لا يصبر عليه الفقير الجائع بحق، ومنها أيضا ما قالوه عن ظهور ذلك التناقض في الوجه باعتباره مجمعًا للمحاسن والتعابير كلها: **(فَي الوَجْه مِرَايَه، وفِي القَفَا سِلَّايه)** والسلاية هي الشوكة من النخل، ويُضرب المثل لمن يصدقُك في المواجهة ويكون لك كالمرآة إن أقبلتَ عليه ويطعنك من الخلف إنْ أدبرتَ عنه بل يكون سببًا في آلامك، وقد صوَّر القرآن هذا الموقف في قوله تعالى عن حال المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤]. فإذا قابل المنافقون أتباع محمد ﷺ قالوا: نحن مؤمنون، وإذا عادوا إلى المشركين وأتباعهم قالوا: إنا معكم وإنما كنا نسخر من أتباع محمد بما قلناه لهم، وقد أخبر الرسولﷺ أن ذا الوجهين مِنْ أشر الناس يوم القيامة بقوله: "تَجِدُّ مَنْ شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه". (٦٥)

هناك صور مختلفة للانفصال على مستوى الشخصية بين الهيئة الظاهرة والحال الواقعي كالمبالغة في الإدعاء والتفاخر والعُجْب بالنفس دونما فعل حقيقي يترتب عليه، إذ يكون حال صاحبه كما عبر المثل **(زَيْ الطَّاوُوس يِتْعَاجِب بِرِيْشِه)** أو يكون في مظهره السلوكي مخالفٌ لواقعه الفعلي فهو يُكثر من الذهاب والإياب دون فائدة **(زَيْ الخِيْلَة الكَدَّابَة)** (٦٦) وقولهم عن المرأة التي تُخْفي قُبْحها بالزينة والعطر إذا خرجت ورأها الرجال؛ فتخدعهم كوردة جميلة: **(بَرَّا وَرْدَة، وِجوَّة قِرْدَة)** في حين أنَّها في بيتها تكون على طبيعتها دونما زينة، والأولى أن تتزين وتتعطر لزوجها فقط لا سائر الرجال، وخاطب الله تعالى المؤمنات وأمرهن بقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٣١﴾ [النور: ٣١]، وقال رسول الله ﷺ عن المرأة إن خرجت: "إذا استعطرت المرأة، فمرَّتْ على القوم ليجدوا ريحها، فهي كذا وكذا" قال قولا شديدا. (٦٧)

وقد يكون الانفصال بين الأقوال من جهة والأفعال من جهة أخرى ولا يعد الأمر سوى مجرد ظاهرة صوتية بلا عمل حقيقيّ، كما في قولهم في المثل: **(أَسْمَعُ جَعْجَعَةً ولا أَرَى طِحْنًا)** الجعجعة صوت الرحى المرتفع، والطحن بالكسر الدقيق نفسه، والمعنى: اسمع صوت الرحى ولا أرى دقيقا. ويضرب في سماع جلبة لا يعقبها نفع (٦٨) فصاحبها يشبه الرَّحَاة التّي تحدث صوتًا عاليًا دون أن تطحن ومن مظاهر الإدعاء الصوتي أيضا الزعم بالقول المبالغ فيه أنه يُحسن كذا، كأن يزعم أنه "خَيَّالٌ" ولكنه- بالفعل- لا يُحسن ركوبها أو سياستها؛ وعابوا على مدعي ذلك بقولهم: **(ما كلّ مَنْ رَكَبْ الخُيُوْل خَيَّال)** وقولهم كذلك في سهولة الإدعاء القولي المبالغ فيه دون الحقيقة الواقعة: **(اللِّي عَلَى البَّر عَوَّام)**؛ لأنه لم يخص التجربة بالفعل، ولا يعدو حالُه سوى المبالغة في الإدعاء بأنه "عَوَّامّ"، وحاله الحقيقي صوره المثل الذي قالوا فيه: **(فلان بيغرق فِي شِبْر مَيَّه)** وقد فسَّر حالة الانفصال بين القول والفعل مثلٌ عامي آخر، قالوا فيه: **(اللِّي إِيْدُه فِي الْمَيَّه مِشْ زَي اللِّي إِيْدُه فِي النَّار)** لأن الذي جرَّب بالفعل له قولٌ يختلف تماما عن الذي لم يَخُضْ التجربة، وربما لو خاضها بالفعل لكان له قول آخر ولعرف الحقيقة ومَيَّزَ حينذاك بين الماء والنار إذا وضع يده؛ لأنه كما ورد في المثل **(مَبِيْحِسْش بالنَّار اللَّي إِيْدُه فِيْها)** أو **(مَبِيْحِسْش بِالنَّار اللِّي كَبِشْهَا)**.

وكذلك هذا هو حال المدعين للأعمال بأنهم مهرة أو محترفين في عمل ما ولكنهم في واقع الأمر لا يُحسنون ما ادَّعوا عمله؛ وعن ذلك قالوا في المثل: **(ما كُلّ مَنْ صَف الأَوَانِي قال: أنَا حَلَوَانِي)** (٦٩). فإن أحسن الإنسان شيئًا ظاهريًّا أو أتقن جزءاً من عمله فلا يسمح له ذلك بإدِّعاء أنه من أصحاب تلك الصناعة أو العارفين بها. وجاء مثلٌ آخر في نفس سياق المثل السابق حيث قالوا: **(هُوَ كُلّ مَنْ نَفَخْ طَبَخ؟!)** حيث إن الإعداد للطعام نفسه يحتاج إلى مهارة وخبرة وليس الأمر مجرد ادِّعاء فحسب، وذلك يعني ضرورة الإحسان في الأعمال وإتقانها قبل ادعائها أو النسبة إليها.

مقاومة الأمثال للمدعين:

وقد واجهت الأمثال العامية حالة التناقض بالإدعاء القولي الذي يخالف الحقيقة والواقع بإحالة المدعي بالقول إلى التجربة بالفعل لاختبار صدقه من عدمه، إذ قالوا في المثل: **(قَالُوا: الجَمَل طَلَع النَّخْلَة، قَالُوا: آَدِيّ الجَمَل وآَدِي النَّخْلَة)** ويُضرب لمن يبالغ في القول فإذا اختبر قولُه بالإحالة إلى التجربة الواقعية انكشف ادِّعاؤه، وهل هو صادق أم كاذب دَعِيّ، وقالوا أيضا عن ضرورة وضع حد للإدعاء القولي فـ **(الْمَيَّة تِكَدبْ الغَطَّاس)** لأنه إن كان يدَّعي القدرة على الغطس في الماء سيغرق فيها حتما، وقد أطلق على الشخصية التي يضرب عليها المثل اسم الفشار، وهو صيغة مبالغة من فشَرَ أي كثير الكذب ومبالغ في كذبه، يدعي البطولة، وقالوا عنه في المثل: **(فِيْن عَزْمَك يَا فَشَّار أَدِي السِّيْف وَأَدِي صَاحِب التَّار)** فلو كان صادقا فعلا لأخذ بثأره ما دام معه السيف ومن سيأخذ منه الثأر.

وهذه الأصناف من الناس يحبون الإدعاء أو النفاق بالقول إن جاز التعبير، وقد عبَّر عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨] فالله تعالى قد آتى هؤلاء من فضله فبدلا من شكر النعم كان التعاجب بالنفس كما ورد في

المثل أو بإدعاء أشياء لم يفعلوها أصلا حتى ينالوا الحمد والثناء من الناس لا من المنعم سبحانه، فهؤلاء ليسوا بمنجاة من العذاب في الآخرة لكذبهم وادعاءهم على الله وعدم شكر المنعم وحده.

ب. النفاق في العبادات:

أما الانفصام في العمل الذي يصدر عن زَيْغٍ في القلب فلن يُقبل أبدا في العبادات، وإن كان المنافق إماماً في الصلاة ذاتها وليس مصليًّا عاديا فحسب؛ لأنَّ حالَه في النفاق سيكون كما قال المثل: **(ضَلالَي وعَامِل إمَام، والله حرام)** فأقوله مواعظ وعبر ولكن أعماله ضلال مبين، ولا ريب أنه سيلقى جزاءه عن نفاقه في الآخرة بفضحه على رؤوس الأشهاد، إذ روى مسلم عن أسامة بن زيد– رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقْتَابُ بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: مالك يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلي، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه" [٧٠] وقد ورد في الأثر الحسن عن بلال بن سعد قوله: "لا تكون وليا لله في العلانية وعدوه في السِّر". [٧١]

وقد عبرتْ الأمثال العامية عن هؤلاء المنافقين الذين يتظاهرون بالصلاح بأداء الفروض المكتوبة في المسجد رئاء الناس، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] ولكنَّهم لا يتورعون قطُّ فَوْر خروجهم منه عن انْتِهَاب حقِّ الخَلْق، قالوا عن أحد هؤلاء المنافقين: **(يَصَلِّى الفَرْض ويُنْقُب الأَرْض)**، فهذان الفعلان لا يجتمعان في شخص واحد **(يصلى، وينقب)** وكذلك ما ورد في المثل **(يِقْتِلْ القَتِيْل ويِمْشِي فِي جَنَازَتُه)** وذلك يعني أنه لا بُدَّ أن يكون هناك اتّساقٌ ذاتيٌّ بين الأفعال؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وليست مجرد حركات وركعات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولا يكون ذلك إلا أن يصدر المرء عن نيَّة صالحة لا

اضطراب فيها كما قال الرسولﷺ: "إنَّما الأعمال بالنِّيَّات وإنِّما لكلّ امريءٍ ما نوى".(٧٢) وهنا مفترق طرق بين أن تكون النية الخالصة هي الهجرة لله ورسوله وأي نوايا دنيوية أخرى تكون باعثا على الهجرة فتكملة الحديث: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

ومن هنا يأتي دور النية قبل العمل حيث إنها المعوّل عليه في احتساب العمل والإخلاص فيه لله وحده؛ لأن المثل العاميّ علمنا أن (**أَبُو بَالَيْن كذابٌ وأَبُو تَلاتَة مُنَافق) والبال هو القلب** (٧٣) فالإنسان إذا أراد أن يعمل عملين لا يُتقّنهما معا في الوقت نفسه، ومن ثم فهو كاذب في أحدهما؛ لأن تركيزه وفكره لن يكون واحدا فيهما معا، فضلا عن يكون متوزعا بالُه على أكثر من اتجاه (ثلاثة) فهذا منافق؛ لأنَّ له وجوهًا كثيرة لشيء لا يحسنه، فإن رفضت محاولة (أبو بالين) وهو ترجمة لقول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، فالأولى أن ترفض محاولة أبو تلاتة، ولا ريب أن الكذب الوارد في المثل (**أَبُو بَالَيْن كذابٌ**) علامة من علامات النفاق كما أخبرنا رسول الله ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أَخْلَف، وإذا اؤتمن خان" (٧٤) وهذه العلامات عبارة عن أقوال وأفعال (حدَّث، وَعَدَ، اؤتُمِن، خَاصَم كما في رواية أخرى للحديث (٧٥)) يُفْتَرض فيها الصدق ولكنْ يُقابلها أقوال وأفعال أخرى تعكس ما انطوى عليه قلب المنافق (كذب، أخلف، خان، فجر)؛ وذلك يدل على التناقض الداخلي والانفصام بين ما يبطنه وما يظهره، وقد استنكر الله على هؤلاء المنافقين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

ج. النفاق في المعاملات:

وهناك فصيل آخر من المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون، فالأعمال باطلة والأقوال تخالفها كما قالوا في المثل أيضا: (**فَمْ يِسَبِّحْ، وإِيد تِدْبَحْ**) فذكر الله

على لسانه رياء وسمعه في حين أن يده تباشر الكبائر وعلى رأسها القتل، ويشتدُ عدم القبول إذا أصبح بعض الإفتاء نفاقًا كما قال المثل: **(يِفْتّي عَلَى الإبْرة ويِبْلَع المدْرَة)** إذ يحكم على أصغر شيء في حقِّ غيره بما يظهر الدقة الشديدة في الأحكام، ويتجاوز عن الأمور الأكبر إن كان في حقِّه، وفرق كبير بين الإبرة والمدرة (المِغْزل) على ما بينهما من تطابق لفظي يبرز الفرق في المعنى، وقد يتجلى ذلك النفاق بوضوح لدى بعض المنافقين في القضاء كذلك، على الرغم من أنهم أعلى مكانة ودرجة بين الناس إذ كما قالوا في المثل: **(قَالُوا لِلْقَاضِي: يَا سِيدْنَا، الْحِيطَهْ شَخَّ عَلِيهَا كَلْبْ. قَالْ: تِنْهِدِمْ سَبَعْ وتِنْبِنِي سَبْعْ. قَالُوا: دِي اللِّي بِينَّا وْبِينَكْ. قَالْ: أَقَلّ مِنَ الْمَاءِ يِطَهَّرْهَا)** (٧٦) فحكم القاضي نابعٌ من منفعته الشخصية وليس من الحق الذي يعلمه، وفي ذلك دلالة على عدم نزاهته، وهو أحد القضاة الثلاثة الذين أخبرنا عنهم النبي ﷺ في الآخرة قال ﷺ: "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة. قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاضٍ عرف الحق فَجَار متعمدا فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار" (٧٧) جزاءً على أنه لم يقض بالحق الذي عرفه.

وهناك مثلان صارخان يترتب أحدهما على الآخر- يعبران عن النفاق العملي بإظهار المرء غير ما يبطن- المثل الأول **(إتْمَسْكِن لِحَدِّ مَتِتْمَكِّنْ)**، يستعمل في نصيحتهم لمن أراد الوصول إلى هدفه غير المشروع، ومعناه سِرْ على نحو ما ترضاه الجماعة المحيطة بك في أقوالك وأفعالك وإن خالفت اقتناعك الذاتيّ بما يجب فعله حتى تواتيك الفرصة المناسبة التي تتمكن عن طريقها من إدارة الأفعال؛ فيظهر حينذاك كأنه شخص آخر، وهذا مثال للتستر بالأفعال والأقوال مع إخفاء النية الحقيقة. وهذا نفاق عمليٌّ بَيِّنٌ لا يختلف عنه كثيراً المثل الثاني، بل يترتب عليه، وهو أن المنافق عندما يعلن عن أفعاله المُشِيْنَة التي تكشف عن نواياه الخفية، وتختفي صورته الطيبة أمام المجتمع بعد أن كان يظهر كـ (حمل وديع) فيتبين حقيقته ويصدق عليه حينذاك المثل القائل: **(يَا مَا تَحْتِ السَّوَاهِي دَوَاهِي)** و **(مَايَّه مِنْ تَحْتْ**

تِبْنَ) وهؤلاء الذين يخالف ظاهرهم باطنهم، ولا يخفى أن هذا النفاق الاجتماعي غير مقبول عند الصادقين من الناس في الدنيا أو عند الله في الآخرة. ومهما يكن من أمر فالحكم على المثلين في عالم الشهادة أو الدنيا يكون على ظاهر الإنسان لا باطنه؛ لأن هذا ما سيحاسب عليه الله تعالى في الآخرة كما قالوا في المثل: **(اِحْنَا لِنَا الظَّاهَر وِالخَفِيّ عَلَى الله)**.

ومهما يكن من أمر فإن العمل الصالح هو الذي يبقى أثره لصاحبه في الدنيا والآخرة ما دام قد صدر عن نية طيبة خيرة؛ ولذلك قالوا في المثل يحضون على الخير: **(اِعْمَل خِيْر وَارْمِيه البَحْر)** فالبحر- في المثل- رمز للخير والعطاء، وكأن الخير يعود إلى صاحبه مرة أخرى إذا رماه في البحر، ومعناه افعل الخير متوكلا على الله وحده دونما رياء أو سمعة أو ثناء أو انتظار مقابل من أحد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، وهذا المثل يتعارض في معناه مع مثلٌ آخر يقولون فيه: **(اِعْمَل خَيْرًا شَرًا تِلْقَاه)** وإن كان معناه يصدق على حالات قليلة فردية فإن معناه العام غير صحيح؛ لأنه يتعارض مع آيات القرآن الكريم الصريحة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧،٨] فالخير يقابله خير والشر كذلك كما قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهو سؤال استنكاري لما قد يقع فيه بعض الجاحدين من الناس الذين يُنكرون المعروف ويقابلونه بالإساءة.

وقد حثَّ مثلٌ آخر على الاستمرار في عمل الخير وإنْ قُوبل بالإساءة طمعاً في الأجر والمثوبة من الله؛ لذلك قالوا في المثل: **(اللِّي عِنْدَ الله مَا يِضِيعْش)** ويُضرب في الحثِّ على عمل الخير تقرباً إلى الله دون نظر للعباد؛ أي أن الله تعالى يجزل الثواب والأجر لمن ابتغى وجهه بالعمل ألم يقل الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] أما ما عند الناس فمن الممكن أن يضيع؛ ولذلك حذَّر المثل من العمل لغير الله بأسلوب الأمر: **(اِعْمَل لِله مِش لِبَنِي آدم)** (٧٨)، وما دام

العمل لله وحده فلن يضيع أبدا ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] بل يُثاب العامل به ويؤجر عليه كما قال عزوجل: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥]. (٧٩)

والحق أننا إذا تأملنا التركيب اللغوى لهذه الأمثال سنجد أنها تتسق تماما مع المضمون الذي عبرت عنه سواء مفارقة الظاهر للباطن، أو القول للفعل، كما يتضح من الجدول الآتي:

التقابل في المعنى	أول المثل	آخر المثل
الانفصام بين الظاهر والباطن	مِنْ بَرَّه هَالله هَالله	ومِنْ جُوَّه يِعْلَم الله
	مِنْ بَرَّه رُخَام	ومِن جُوَّه سُخَام
انعاكس الانفصام على الحواس	أَسْمَع كَلَامَك أَصدّقَك	أَشُوف أُمُورَك أَسْتَعْجِب
	أَسْمَعُ جَعْجَعَةً	ولا أَرَى طحْنًا
انعاكس الانفصام على الوجه	في الوَجْه مرَايَه	وفي القَفَا سلَّايه
التناقض في الأفعال ذاتها	يَصَلِّى الفَرْض	ويُنْقُب الأَرْض
التناقض بين الأقوال والأفعال	يَفْتّي عَلَى الإِبْرة	ويِبْلَع المدْرَة
	(نفي) ما كلّ مَنْ رَكَبْ الخُيُوْل	خَيَّال
	ما كُلّ مَنْ صَف الأَوَانِي	قال: أنَا حلَوَانِي
	اللِّي عَلَى البَّر	عَوَّام

٢- توحيد الأسماء والصفات:

أسماء الله الحسنى هي ما سمَّى الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسولهﷺ، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن أسماء الله وتصفها كلها بأنها حُسْنَى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي أن الأسماء التي سمَّى الله بها نفسه قد بلغت غاية الحسن بل هي أفضل الأسماء على الإطلاق، وهي التي اختص بها الحق ذاته، وطلب من عباده الدعاء والتَّعبد بها كما

ورد في قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وأسماء الله الحسنى كثيرة تخرج عن نطاق العدِّ والحصر على الرغم من ورود حديث شريف يفيد حصرها: "إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة" (٨٠) ولكن الإحصاء في الحديث ليس معناه العد والحصر بقدر ما يعني فهم الأسماء والعمل بمقتضاها تشبهاً بصفات الله تعالى قدر الطاقة الإنسانية، فالعدد الوارد في الأخبار يفيد الكثرة لا الحصر كما في الأحكام، ويؤكد ذلك المعنى أن هناك حديثًا آخر ورد عن الرسول ﷺ يثبت أن هناك أسماء أخرى استأثر الله بها في علم الغيب، ولعل بداية الحديث تحدد هذا المعنى: "أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خقلك، أو أنزلته في كتابك، أو استَأْثَرتَ به في علم الغيب عندك" (٨١)ويُفهم من هذا الدعاء: أن هناك أسماء أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه وأظهرها للناس جميعا (أنزلته في كتابك). وأخرى اختص بها الله تعالى بعض خلقه كالملائكة أو الأنبياء أو الصالحين (أو علمته أحدا من خلقك). وهناك أسماء لم يظهرها الله لأحد من خلقه واستأثر بها في علم الغيب عنده فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهذا دليل على أن أسماء الله ليست محصورةً في عدد معين. ومهما يكن من أمر الخلاف حول عددها فإنها موقوفة على الحق سبحانه، وليس لأحد أن يضيف إليها ولو على سبيل الاستحسان أو أن يحذف منها، وقد عبرتْ الأمثال العامية عن أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، ومن ثم فلا صحة للحكم الذي ذكره حسن حنفي بأنه "تقل الأمثال العامية في موضوع الذات والصفات؛ لأنه موضوع نظري لا تقوى عليه الأمثال العامية ولا يرتبط مباشرة بمصالح الناس وحياتهم اليومية" (٨٢) لأنه يخالفُ بالفعل واقع الأمثال العامية وتعلُّق المؤمن بأسماء الله وصفاته ودعائه بها، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة عرض بعض الأسماء والصفات على النحو الآتي الذي نبرهن من خلاله على كثرة الأمثال وليس قلتها:

ومن أسماء الله تعالى التي ذكرها العوام في أمثالهم:

***الرزاق:** يعد الرزاق أحد أسماء الله الحسنى التي ورد ذكرها في الأمثال العامية بكثرة؛ وذلك لأن الإنسان يفتقر إلى الرزق، فالله هو الغني المفيض بالنعم التي تسدُّ فاقة الإنسان من مأكلٍ ومشرب وملبس، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]،؛ وتتواتر الأمثال التي توضح حقيقة افتقار الإنسان إلى عطاء الله الغني، كما يقول المثل: **(الرزاق موجود)**، فالله–وحده– هو الرزاق لا العباد، وهنا ينسب الرزق إلى الله وحده، ويتضح ذلك من قولهم في المثل باستعمال صيغة الجمع: **(الأرزاق على الله)** أو قولهم باستعمال صيغة المفرد: **(الرزق على الله)**، ولا ريب أن هذه الأمثال العامية مبنيةٌ على الإيمان بالمعنى السائد الذي أثبته الله لنفسه في كتابه، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فالله وحده هو المتكفَّل بأرزاق الناس جميعاً كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال الرسولﷺ: "إن الله هو المُسَعِّر القابض الباسط الرزاق، وإنِّي لأرجو أن ألقى الله وليس أحدٌ منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال" (٨٣) والله يرزق الكائنات الحية الدقيقة جميعاً كما قال الله تعالى جل شأنه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، فكلُّ عبد أو دابة مفتقر إلى الرزق، كما ورد في المثل: **(يُرْزُقْ الدُّود فِي الحَجَرِ الجَّلْمُود)** أي أن الله كفيل برزق عباده ومخلوقاته (٨٤) الدقيقة في أي مكان ما دام الله هو الخالق، وهذا اسم لازم للحق سبحانه فلا عجب أن يكون هو الرزاق كما ورد في المثل: **(اللِّي شَقّ الأَشْدّاق اتّكَفِّل لَهَا بالأَرْزَاق)** يريدون أن الله كفيل بالرزق وحده كما خلقهم وحده وجعل لهم الأفواه فلا غرو أن يهديهم إلى رزقه، وقالت العرب قديما: **(الذِّي شَقَّ فَاكَ لا يَنْسَاك)** (٨٥)، فثمة اقترانٌ واضح في الأمثال العامية بين الخلق والرزق، كما في قوله تعالى أيضا ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] فالله تعالى لا ينسى خلقه؛ إذ عناية الله بخلقه ورزقهم مستمرة، ومن ثم لا داعي للقلق بشأن الضرورات الملحة للحياة؛ ولذلك لا يصح قولهم في

المثل: **(رِزْق الْهِبْل عَلَى الْمَجَانِيْن)** فالله سبحانه- يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كما في قوله ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٣٦﴾ [سبأ:٣٦]، فلم يجعل رزق أحد متوقفًا على أحد سواء كان عاقلا أم غير عاقل كما ورد في المثل الذي يَنُمُّ عن الحسد والحقد [٨٦]، وكل إنسان يطلبه رزقه كل يوم فلا يصل إلى غيره إلا إذا أراد الله كما يقولون في مثل آخر: **(اللِّي لَك مُحَرَّم عَلَى غِيرَك)**.

تأسيسًا على ذلك فلا يجب الخشية على الأزراق؛ لأنّها أمرٌ قد قُدِر، وقد أكّد الرسول ﷺ ذلك بقوله: "أنه لا تموت نفسٌ حتَّى تستكمل رزقَها، وإنْ أبطأ عليها، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبْطَاء الرزق أنْ تأخذُوه بمعصية الله فإنَّ الله لا يُنَال ما عنده إلا بطاعته" [٨٧] فالله يرزق الناس في أي مكان يمكثون فيه، أو يرتحلون إليه **(بِلاَد الله لِخَلْقِ الله)** ومن ثم فلا يقلق الإنسان أو يحمل همَّ زرق غدٍ؛ حيث عبَّر المثل العاميّ عن ذلك المعنى في قولهم: **(رَبَّ هِنَا رَبّ هِنَاك)** [٨٨] أي أنك مهما أبعدت واغتربت أو اقتربت فسيأتيك ما قُدِّرَ لك من رزق، وهذا أمر ثابت عند العوام ولكنهم يختلفون حول علاقة الرزق بالسعي والعمل إلى حد التناقض الظاهري.

فهناك أمثال عامية تدعو إلى التواكل وعدم الأخذ بالأسباب وإسقاط التدبير ما دام أن الرزق قادم من الله لا محالة كما ذكرنا في الأمثلة السابقة، ومن ثم يقولون: **(الله بِيرْزُق الهَاجِم والنَّاجِم)** أو بإضافة **(الهَاجِع والنَّاجِع والنَّايم عَلَى ودنُه)**. أي أن الله سبحانه تكفل برزق كل خلقه، سواء كان من المخلوقات التي تسير على الأرض أو تلك التي تطير وتحلِّق عاليًا نحو النجوم [٨٩] وما دام الرزق موجودا في كل الأحوال كما عبر المثل بالنسبة للإنسان في كل هيآته وأحواله المختلفة **(الله بِيرْزُق الوَاقِف والقَاعِد والمُتَّكِي عَلَى جَنْبُه)** فلا داعي للتعب أو السعي، فالعلاقة هنا بين الرزق والسعي إليه ليست سببية؛ أي الإنسان قد يترك أسباب السعي ويرزقه الله

بل إن ما قدَّره سبحانه من أرزاق للقاعدين المتبطلين قد يكون أحيانا محل استغراب وعجب؛ لأن الرزق لم يعتمد على الأسباب كما يقول المثل: **(يُرْزُق قَلِيْل الْحِيْلَة لمَّا يَسْتَعْجِب صَاحِب الْحِيْلَة)** فالرزق محل العجب هنا كان في صالح قليل الحيلة وليس في صاحبها الذي يأخذ بأسبابها، وعبروا عن الرزق بلفظ العطاء في قولهم: **(يُعْطِي الضَّعِيْف لمَّا يَسْتَعْجِبْ القَوِيّ)** فالرزق الإلهي- كما ورد في هذه الأمثال- لا شأن له بالأسباب الإنسانية أو القوة أو الذكاء والحيلة، وإنما هو من الله وحده. [٩٠] ومن ثم فمهما سعى الإنسان وأخذ بالأسباب فلن يحصل في النهاية إلا على زرقه المكتوب كما عبر عن ذلك المثل الشائع: **(اِجْرِ يَا ابن آدَم جَرْي الوُحُوْش، غِيْر رِزْقَك لَنْ تُحُوْش)** ولا ريب أنه قد يُفهم من ذلك المثل التواكل واسقاط التدبير وترك الأخذ بالأسباب ما دام الرزق المقدر آتٍ لا محالة كما ورد في المثل المأثور: **(لا حِيْلَةَ فِي الرِّزْق ولَا شَفَاعَةَ فِي المَوْت)**.

وفي المقابل ثمة أمثال أخرى خالفت ما دعت إليه الأمثال السابقة من التواكل وترك الأسباب حيث دعتْ صراحة إلى ضرورة الأخذ بأسباب الرزق وعلى رأسها السعي والحركة، ومنها قولهم: **(الْحَرَكَة بَرَكَة)** [٩١] وقولهم في المثل: **(الرِّزْق يِحِب الْخِفِّيه)** والكلمة الأخيرة في المثل"الخفيه" تعني السعي والحركة أيضا، ومعنى السعي والحركة لا يفهمان إلا من خلال الباعث عليهما، أعني أكل العيش كما يتضح ذلك من مثل آخر، قالوا فيه: **(أَكْل الْعِيْش يِحِبْ الْخِفِّيه)** ويضرب هذا المثل في نفي الكسل والتّقاعد عن طلب الرزق [٩٢] بل يدعون إلى اغتنام الفرصة باستباق الإرادة التي قد تّفْتُر إذا تَقَاعس الإنسان عن السعي المطلوب تأجيلا أو تسوّيفا، بقولهم عن مَنْع التسويف: **(حَلَاوِتْهَا فِي حَمَوِتْهَا)**، وقولهم عن عدم التواني والتراخي: **(لَا تُؤجَّل عَمَل الْيُوم إلى الْغَد)**، وذلك يعني أن الرزق يحتاج من الإنسان إلى ضرورة السعي والحركة الدائبة والضرب في الأرض، وقيل لملك زال عنه ملكه، ما الذي سلبك ما كنت فيه؟ قال: دفع عمل يوم إلى غدٍ والتماس عذر بتضييع عمل. [٩٣]

ومن الجميل أن يشيع في الثقافة الشعبية المصرية أمثال تزيد من الرزق بل تكون سببا فيه، ومن ذلك حسن الخلق الذي قد يكون سببًا غير مباشر من أسباب الرزق حيث ورد في المثل قولهم: **(فِي سعَة الأَخْلَاق كُنُوز الأَرْزَاق)** و **(اسْتَقْنَع بالقَلِيْل يَأْتِيْك الكَثير)** و **(القَنَاعَة مَال وبِضَاعَة)** ولعل هذه النظرة العملية الأخلاقية كانت سببًا أيضا في شيوع المثل القائل: **(الله فِي عَوْن العَبْد مَا دَام الْعَبْد فِي عَوْن نَفْسِه)** [٩٤] حيث ضرب المثل في الحث على علو الهمة والرجاء في الله. [٩٥] مع ضرورة الأخذ بالأسباب من قِبَلْ العبد.

وتأسيسا على ذلك لو تأملنا هذا الخلاف بين النوعين السابقين من الأمثلة العامية سنجد أن هناك أمثلة جعلت العلاقة بين السعي والحركة من جهة والرزق من الله جهة أخرى علاقة سببة يكون الأول سببا في وجود الثاني، وأمثلة أخرى انتهت إلى أن الارتباط بينهما ليس سببيا، أي أنه قد يكون هناك رزق بلا سعي، وعند النظر في واقع هذه الأمثال بالنسبة إلى النوعين سنجد أن لهما أصلا تراثيا قديماً بين فرقتين كبيرتين من الفرق الكلامية، وهما المعتزلة والأشاعرة.

فالأشاعرة رأوا أن الرزق أمرٌ مقدر ومكتوب على الإنسان قبل أن يُولْد مصداقا للحديث النبوي الذي يقول: "أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح"[٩٦]، ومن ثم فهو فعل العبد المكتسب في علم الله الذي سبق به الكتاب في اللوح المحفوظ، ولعل غلبة الثقافة الأشعرية كانت سببا في ذيوع النوع الأول من الأمثلة العامية التي ترى أن الرزق من الله وحده ولا دخل للإنسان فيه إلا بالاكتساب، وهذا الرأي أقرب إلى الجبر، وساعد على ذلك امتزاجه بالنزعة الصوفية الاتكالية التي تجلتْ في روح السلبية لدى أصحاب الزوايا والتكايا والدروشة.

وثمة فرقة أخرى هي المعتزلة رأتْ أن للإنسان دوراً في تحصيل الرزق فهو الذي يصنع فعله وما يتولد عنه وليس للعلم الإلهي دور في ذلك، ولعل الأمثال العامية من النوع الثاني تعد امتدادا لهذا الرأي الذي يؤمن بحرية الإرادة الإنسانية ومسئولية الإنسان عن فعله غنيًّا أو فقيراً، وهي أقرب إلى الصواب حيث ورد أثرٌ عن عمر بن الخطاب يحثُّ فيه على العمل والكسب حيث قال: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا وفضة". (٩٧) وقالوا في المثل أيضا: **(كُلِّ شيء بالأَمَل خَلا الرِّزْق بِالعَمَل)** وقالوا أيضا: **(اِشْقَ تِلْقَ)** أيّ لكَدِّ الإنسان وتعبه نتيجة مفيدة. (٩٨) وغاية الأمر أن السعي مطلوب للرزق لأن الله تعالى ينزل الرزق ولكنه تعالى أبهمه إذ لم يعين وقته ولا سببه ولا وسائطه(٩٩) حتى يدفع الإنسان إلى السعي والطلب والاضطرار إليه فيسأله الرزق وإذا وصل إليه وتنعم به أحبه، ويتجدد الحب والشكر مع تجدد رزقه كل يوم.

ومهما يكن من أمر فلو تأملنا رأي الفرقتين سنجد أنه يتعارض مع ما شاع به المثل العاميّ الذي يقوله بعض الناس على سبيل التشاؤم من آخرين: **(وَجْهُه يَقْطَع الرِّزْق)** (١٠٠)؛ لأنه ليس هناك علاقة سببية بين الرزق المُنْزَّل من الله للإنسان ووجهه حسنًا كان أو قبيحاً أو كما يقولون: **(هُوَ شُؤْم، وِشُّه يِقْطَع الْخَمِيْرَة مِنْ الْبَيْت)** فالرزق من الله وخلق الوجه أيضا من الله، ولكن ربما جرتْ العادة باقتران التقتير في الرزق في يوم ما بعد رؤية شخص ما في ذلك اليوم، وقد نهي النبيﷺ عن التَّطَيُّر والتشاؤم، وكان ﷺ يحب الفأل، فقال: "لا عدوى ولا طِيَرَه، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة" (١٠١) وقد نهى ﷺ عن التشأوم في قوله أيضا:" ليس منا من تَسَحَّرَ أو تُسِحَّر له...أو تطير أو تُطِيَّرَ له". (١٠٢) ويؤكد صحة ضرورة إيجاد أسباب واقعية للرزق حيث أمرنا الله بالضرب في الأرض ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] فليس الرزق مجرد انطباعات بالتفاؤل أو التشاؤم أو توهمات وإنما هو بالسعي والحركة، ويتضح ذلك من خلال تناولنا لاسم الله الوكيل؛ لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب في كل حال؛ لأنه سبحانه أَبْهَم وقت الرزق وسببه في التقدير اليومي، في حين أنه سبحانه أعلم الإنسان أنَّه هو الرزاق في كل حال أيضا ولا تعارض بينهما. والتشاؤم يتنافي مع حسن التوكل على الله، وهذا يدعونا إلى الوقوف على اسم الله الوكيل في المثل.

***الوكيل** اسم من أسماء الله الحسنى، ووكيل على وزن فعيل بمعنى مفعول أي موكول إليه أمر العباد؛ فيتصرف في أمرهم حيث يشاء بحسن رعايته لهم وذلك لاعتمادهم عليه في مهماتهم وعجزهم عن قيادة أنفسهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣] والتوكل يدخل في باب العبادة، ولا يخفى أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الرزق من الله والتوكل عليه، ويتضح ذلك من حديث رسولناﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانا"(١٠٣)، فالأخذ بأسباب الرزق الحقة (=التوكل) سببٌ في الحصول عليه (الرزق)، والحق أن ثمة أمثالا كثيرة تدعو الإنسان إلى التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، حتى إن المثل الذي يقول: **(اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّل)** يعدُّ في أصله من حديث النبيﷺ (١٠٤)، وله شقان: شق يتعلق بالإنسان وما يجب عليه من الأخذ بالأسباب، وشق آخر يتعلق بالله تعالى وتوفيق الله عبده فيما شرع فيه أو خذلانه، ومن هنا نجد أن المثل العاميّ الصحيح قد راعي هذين الأمرين في شطريِّ المثل حيث وردا في المثل كالآتي: **(اِسْعَى يَا عَبْد، وأنَا أَسْعَى مَعَاك)** وقولهم في المثل: **(اللِّي عَلِيك اعْمِلُه، واللِّي عَلَى الله مَا تِعْتِلُوْش هَمْ)** وكذلك وقولهم في مثل آخر: **(اللِّي عليك اعْمِلُه، والبَّاقِي عَلَى الله)** ويضرب في الحث على الأخذ بالحزم والتَّحوُّط والاتِّكال على الله (١٠٥) على سبيل التَّقابل بين جملتين أو التفاعل بين الطرفين **(خُدْ مِنْ عَبْد الله، واتِّكِل عَلَى الله)** ويربط بين هذين الطرفين في الجملتين حرف العطف فالثاني

معطوف الأول أي تابع له توفيقًا أو خذلانًا. ولذلك يجب على الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي تمثل الشطر الأول من المثل: (اللِّي عَليك اعْمِلُه) (اسعى يا عبد) (خد من عبد الله)، أما الشطر الثاني فالفاعل فيه هو الله وحده، وهذا من العطف واللطف الإلهي بخلقه، قال الشاعر:

عَلَى الْمَرءِ أنْ يَسْعَى لِمَا فِيْــه وَليسَ عَلْيه أَنْ تَتِمَّ المقاصِــدُ

وهناك أمثلة أخرى كشفتْ عن طمأنينة الإنسان إلى ما عند الله كما ورد في المثل القائل: **(اللِّي عَلَى الله على الله)** أو المثل القائل: **(اللِّي عَلَى الله ما يِتْحَمَل لــه هَم)** حيث يضرب في الاتِّكال على الله والأمل في رحمته [١٠٦] فإذا أسرف الإنسان في حسن الظن دون الأخذ بالأسباب الصحيحة فإنه يخطيء حتمًا، "لـيس الإيمان بالتَّحلي ولا بالتَّمنِّي إن الإيمان ما وَقَرَ في القلب وصدقه العمل" [١٠٧] فالتعلل بحسن الظن في الله مع تجاهل الأسباب الحقة في العمل والإهمال فيها غير جائز؛ لأنهم لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، ولذلك فإن المثل الشائع: **(عُكّ رَبَّك يِفُك)** غير جائز على الإطلاق؛ لأنَّ اتقان العمل واجب، وليس إفساده، والله تعالى أخبرنا بأنه لا يصلح عمل المفسدين في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ٨١﴾ [يونس: ٨١] وكما قال الرسول: "الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" [١٠٨]

أما الاعتقاد والاعتماد على الأسباب وحدها دون مسببها فهذا عاقبته الخذلان حيث شاع في المثل القائل: **(اللي اتَّكَل على شيء أخلاه الله منه)** [١٠٩]؛ لأن النَّافع والضَّار هو الله وحده، وعلى ذلك يقولون في المثل: **(كَبِّب والله الْمُسَبِّب)** وهو يشير إلى أن الإنسان قد يدعو بالشّر والله تعالى قد يستجيب أو لا يستجيب [١١٠] أما إذا كان الاعتماد على الله وحده يقولون في المثل: **(الله يِجيْب اللِّي فيه الْخيْر)** دعاء على سبيل التفاؤل بمعنى ليكن الآتي خيرا إن شاء الله تعالى[١١١] أو كما يقول المثل عند عدم حسم الأمر والتردد فيه وإرجائه إلى إرادة الله المقدرة سلفا: **(اللِّي فِيه الخِيْر يقَدِّمُه رَبِّنَا)** ولا غرو في ذلك؛ لأن الله هو المعطي.

***الكريم:** ما دام الله هو المعطي المتفضل في عطائه من غير سؤال **(العَاطِي هُوَ الله)** إذن فهو الكريم، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] فهو وحده الكريم المطلق؛ الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى(١١٢)﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] ولذا يقول الناس في الحكمة التي سارت كالمثل: **(الله كَرِيْم)** ويُقال على صيغ: منها عدم رد السائل، ومنها الرجاء في الله سبحانه وتعالى، ومنها الدعاء لإنسان (١١٣) فإذا كان الإنسان في مشكلة معقدة خارجة عن إرادته ولجأ إليه، فكرم الله يشمله بحلول كثيرة كما ورد في المثل **(كُلّ عُقْدَة وَلَها عنْد الْكَرِيْم حَلَّال)** أي أن الله يسخِّر لها من يتمكن من حلها، و **(اللِّي يحبُّه رَبِّنَا وَيخْتَارُه يجِيْب له الخِيْر لِغَاية دَارِه)** يريد أن من أحبَّه الله وقربه إليه أسبغ عليه نعمته وقضى حوائجه عنه، ألم يقل الرسولﷺ: "من شغله قراءة القرآن عن مسألتي وذكري، أعطيته أفضل ثواب السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" (١١٤) فالله سبحانه هو أكرم الأكرمين **(ربِّنَا العَاطِي الوَهَّاب)** فالعاطي ليس اسما من أسماء الله ولا يجوز التعبد به، أي أن العطاء من مال وأولاد وما شابه يأتي بتسهيل من الله سبحانه ولا دخل للعبد في رزقه وما يحصل عليه(١١٥).

***الرحمن:** اسم من أسماء الله الحسنى، وصفة من صفاته قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فالرَّحْمَة التَّامَّة هي إِفَاضَة الْخَيْر على المحتاجين وإرادته لَهُم عناية بهم وَالرَّحْمَة الْعَامَّة هِيَ الَّتِي تتَنَاوَل الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق وَرَحْمَة الله عز وَجل تَامَّة وَعَامة، أما تَمامهَا فَمن حَيْثُ أَنه أَرَادَ قَضَاء حاجات المحتاجين وقضاها وَأما عمومها فَمن حَيْثُ شمولها الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق وَعم الدُّنْيَا وَالْآخِرَة (١١٦) وقد شاعت أمثال تدعو إلى التَّراحم بين الناس حتى تغشاهم الرحمة والسكينة، إذ قالوا في المثل: **(ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء)** لا ريب أن مَنْ في الأرض هم الناس، ومن في السماء هم الملائكة الذين

يتنزلون برحمة الله. وإذا أحب الله عبداً رحمه وأحبَّه أهل الأرض والسماء كما قال المثل: **(اللِّي يحبُّه رَبِّنَا يحَبِّبْ فِيْه خَلْقُه)** يريد من قام في طاعة الله ومشى في أمور عباده بالخير أحبه الله فأحبه الناس (١١٧) ومعنى هذا المثل مستفاد من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" (١١٨) وهذا الحب من رحمة الله بعباده.

وفي المقابل نجد أن بعض قساة القلوب لا يسلكون طريق الرحمة ويفتقدونها، وقد عبّر عنهم المثل بقولهم: **(لا بيرْحَم وَلا بيْخَلِّي رَحْمِة رَبِّنَا تنْزِل)** حكاية عن الذين يتجبرون على الناس في الأرض. وهذا المثل يخالف صريح الآية السابقة؛ فليس لأحد أن يمنع رحمة الله أو يرسلها على الإطلاق كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢] فليس لأحد أن يرسل أو يمنع رحمة الله مهما كان شأنه؛ لأن الله وحده هو الرحمن الرحيم.

***الحفيظ:** من أسماء الله الحسنى الحفيظ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧] والحفيظ من المبالغة في الحفظ، وليس الحافظ كما شاع في المثل **(الله هُوَ الْحَافِظْ)** لأن الحافظ ليس اسما من أسماء الله الحسنى ولا يجوز التَّعبد به في التّسمية (عبد الحافظ) حتى لو قيل إن حفيظ على وزن فعيل بمعنى فاعل، أي حافظ كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وهو أرحم الراحمين (١١٩)؛ لأن أسماء الله توقيفية وإن استحسن العقل غيرها، ويضرب المثل المذكور في طلب وقاية الله، فإذا حفظ الله عبدا رعاه، وهنالك مستويان للحفظ: أحدهما بمعنى صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها من بعض وأعني بذلك الماء والنار؛ فالأول يطفيء الثاني، والآخر بإمداد ما يضعف منهما أمام الآخر حتى يحفظ على الكائن توازنه (١٢٠)، وبذلك لا يضيع أبدا مَنْ أراد الله حفظه كما قال المثل:

(اللِّي يحْفَظُه رَبِّنَا مَا حَدِّشْ يِضَيّعُه) وعلى الرغم من شيوع هذا المثل الذي نسب الحفظ إلى الله فإن بعض النسوة اللائي يخشين على أولادهن من الحسد يقلْن مثلا آخر ينسبون الحفظ إلى اسم النبي فيقلنْ خطأ: **(اسْم النَّبْي حَارْسُه وصَاينُه)**؛ لأن أسماء النبي لا تحفظ أو تحرس أحدا أو تنفع أو تضر، والقرآن يقول على لسانه □: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

***الفتاح، العليم، الملك:** وهي من أسماء الله الحسنى التي وردت في الأمثال العامية الملك الفتاح الرزاق حيث قالوا في المثل: **(يا فَتَّاح يَا عَلِيْم يَا رَزَّاق يَا كَرِيْم صَبَحْنَا وَصَبَح الْمُلْك لله)** استفتاح بأن الله مالك الكون وخالقه وحده ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس:٢] فليس له شركاء ينازعونه كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] ، ويُقال للمتجبرين المتسلطين على الناس بسلطانهم تذكيرا لهم بأن ملكهم زائل واستعبادهم للناس مؤقت **(البِّلاد بِلَاد الله والْخَلْق عَبِيْد الله) أي أن البلاد والعباد ليسوا ملكا لأحد** حتى لو ادعى بعض المغرورين بسلطانهم وملكهم كالنمرود أنه الملك الحقيقي المتصرف في ملكه وفي مصير العباد بإدعائه القدرة على إحياء العباد وإماتتهم كما ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فالمثل العامي يؤكد على صحة قول إبراهيم عليه السلام ربي الله يحيي ويميت إذ يقولون في المثل: **(مَا يَاخُذ الرُّوْح إلا اللِّي خَلَقْهَا)** يعني أن الله تعالى هو الذي المحيي المميت فالذي خلق الروح وحده هو الذي يقبضها بأمره.

***الغني والمغني:** هُوَ الَّذِي لَا تعلق لَهُ بِغَيْرِه لَا فِي ذَاته ولَا فِي صِفَاته بل يكون منزها عَن العلاقة مَعَ الأغيار فَمن تتَعَلَّق ذَاته أَو صِفَاته بِأَمْر خَارج من ذَاته يتَوَقَّف عَلَيْهِ وجوده أَو كَمَاله فَهُوَ فَقير مُحْتَاج إِلَى الْكسْب ولَا يتَصَوَّر ذَلِك إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى [١٢١] الله هو المغني الذي يستغني مطلقا عن الاحتياج، أما الغني من

عباده فهو الذي يحتاج إلى غيره وإن كان لديه ما يكفيه وما دام أنه احتاج إلى غيره إذا فقير حقيقة، ويسمى غنيا مجازا؛ يلجأ الناس إلى الله وحده إذا منعهم الأغنياء حتى قيل في المثل (**الله الْغَنِي عَنَّك**) ويُضرب للاستغناء عن إنسان [١٢٢] بعينه في موقف ما يحتاج فيه مؤنة أو معونة ما دام أنه قد استغنى بالله، والحق أن الناس جميعا فقراء لله؛ لأنهم مطبوعون على الاحتياج، ومن ثم يلجأون إلى الله الغني وحده، ولذلك خاطب الله تعالى الناس في كتابه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ١٥﴾ [فاطر: ١٥]، فالله سبحانه هو الْمُغنِي الَّذِي أغْنى الْخلق بِأَن جعل لَهُم أَمْوَالًا وبنين كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى٤٨﴾ [النجم: ٤٨] [١٢٣] ومن هنا يأتي اسم الله الواسع الذي وسع علمه وملكه وفضله المخلوقات ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ٢٤٧﴾ [البقرة: ٢٤٧] وقيل في المثل: (**الله يُوَسَّع عَلِيْك**) ويضرب في الدعاء لإنسان بالسعة في العيش الموصل إلى الغنى.

***السِّتِّير**: وهو سبحانه الستير الذي يستر ذنوب عباده، أما الساتر فهو الحاجز الذي يستر ما وراءه، ولا يجوز قبول إطلاقه في حق الله، لكن جرت عادة بعض الناس في استعماله كما ورد في المثل (**السَّتَّار مَوْجُوْد**)، وعند دخول البيوت يرفع بعضهم صوتهم بالنداء: (**يا رَبّ، يَا سَاتِر**) تنبيهاً لأهل البيت من النساء بالاحتجاب، وهذا خطأ؛ لأنه الساتر ليس اسماً من أسماء الله الحسنى، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الناس يتعبد خطأ في التسمية بهذا الاسم فيسمون أبناءهم: عبد الستَّار، والاسم الصحيح هو السِّتير كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: "إن الله جل ثناؤه حيي ستِّيرٌ، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر" [١٢٤]، تشبهاً وعملا باسم الله تعالى الستير، فمن ستره الله فلا سبيل لفضحه كما جاء في المثل قولهم: (**اللِّي سَاتِرُه المَوْلَى مَا يَفْضَحُوْش الْعَبْد**) ويقولون في مثل آخر: (**اللِّي رَبِّنَا سَاتِرُه مَا يَفْضَحُه مَخْلُوْق**) ولا بأس بالمعنى اللغوي هنا على سبيل التشبيه بأن يكون هناك حاجزا وحجابا بين هذا العبد المستور وبين سائر الناس [١٢٥]، وقد يدوم سِتْر الله على

بعض عباده الذين يَجْتَرحون السيئات **(إِنَّ الله حَلِيْمٌ سَتَّار)**؛ فيطمعون في ستر الله مرة أخرى **(اللِّي سَتَرْهَا فِي الأَوْل يَسْتُرْهَا فِي التَّانِي)** يعني أن الله إذا لحظ عبدا بعنايته عسر على المخلوق أن يناله بسوء [١٢٦] كما قال الشاعر:

وَإِذَا الْعنَايَةُ لاحَظَتْكَ عُيُونَهَا نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كلُّهُنَّ أَمَان

على الرغم من أن هناك مثل آخر يحذر من تكرار الخطأ **(مِشْ كُلِّ مَرَّة تِسْلَم الْجَرَّة)** فإذا كان ستر الله للعبد حال بينه وبين غدر الناس به، وهذا ما عبر عنه المثل **(عِيْن الْعَبْد غَدَّارَة وَعِيْن الرَّب سَتَّارَه)** [١٢٧] فعين العبد قد تغدر ويعبر عن التهديد بمثل آخر يقول: **(خَلِّي الطَّابِقْ مَسْتُوْر)**.

***اللطيف:** يعلم دقائق الأمور المقدرة على الخلق وتخفى عليهم ويصلهم بنفعه وفضله ورفقه بهم فيما قدره عليهم ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، قال الغزالي (ت٥٠٥هـ): "يسْتَحق هَذَا الاسْم من يعلم دقائق الْمصَالح وغوامضها ثمَّ يسْلك فِي إيصالها إِلَى المستصلح سَبِيل الرِّفْق دون العنف فَإِذا اجْتمع الرِّفْق فِي الْفِعْل واللطف فِي الْإِدْرَاك تمّ معنى اللطف" [١٢٨] وقد جرت الأمثال العامية بربط القدر باللطف الإلهي فيقولون **(قَدَّرْ وَلَطَفْ)** ويفهم من التقدير في المثل العلم الإلهي السابق، واللطف يعني الرفق في وقوعه بحسب حالة المقدر له. وقالوا: **(رَبَّك رَبّ العَطَا بِدّي الْبَرْد عَلى قَدِّ الغَطَا)** فالله يعلم حال عبده وما قدره عليه ويلطف به وهو اللطيف الخبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ومن لطف الله تعالى الذي عبر عنه المثل قولهم عن الانسجام في الطباع بين زوجين: **(مَا جَمَّعْ اللَّا أَمَا وَفَّقْ)** فالله تعالى يعلم الطرفين، ومن لطفه أن يقع الشبيه على شبيهه حتى يحدث الانسجام والألفة إيجابا أو سلبا، ومن ثم فالأمثال العامية قد دعت الإنسان أن يتشبث بلطف الله، ولا يركن إلى الانشغال بالهموم، لأنه اللطيف الخبير يدبر له أمره **(الْعَبْد فِي التَّفْكِيْر وَالرَّب فِي التَّدْبِيْر)** وإذا كان هذا التفكير يتعلق بالرزق فلن ينقطع، وهذا

اليقين عبروا عنه في المثل القائل **(قَبْلْ مَا يِقْطَعْ هِنَا يُوْصِلْ هِنَا)** فمن اللطف الإلهي اتصال ما انقطع في مكان آخر، ومن لطف الله أيضا أن المشكلات المعقدة اليوم تنحل في قابل الأيام أو كما يقولون في المثل **(تِبَاتْ نَار تُصْبِحْ رَمَاد لَهَا رَبّ يدَبّرها)** وذلك من ألطاف الله الخفية بعباده.

***النَّصير:** وهو من أسماء الله الحسنى **(اللِّي مَا لُوْش حَدِّ لِه رَبِّنَا)** يريد أن الله نصير من لا ناصر له قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ٣٦﴾ [الزمر: ٣٦] (١٢٩) فهو- وحده- القوى النصير (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ٤٠) [الأنفال: ٤٠]، أما المستقوى من البشر بغير حول الله وقوته على الضعفاء والمساكين فقالوا عنه في المثل **(القَوِىّ عَلِيْه رَبِّنا)** فهو سبحانه الحي القيوم الذي لا يغفل عن الظالمين ولا تأخذه سنة ولا نوم كما قال المثل: **(اللإله لا بِنَام وَلا يَغْفَل)** فهذه الجملة يقولها كل مظلوم تذكيرا للظالم بأن الله ليس **بغافل** عما يفعل الظالمون.(١٣٠)

***القريب:** اسم من أسماء الله الحسنى التي وردت في المثل العامي إذ قالوا: **(اللِّي عِنْد رَبِّي قَرِيْب)** ويُضرب في تأميل رحمة الله وقريب فيضه (١٣١) وهو تعبير عن معنى الآية الكريمة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] وهناك إضافة أخرى في مثل آخر **(اللِّي عِنْد النَّاس بَعِيد واللِّي عند رَبِّنَا قَرِيب)** ولذلك قال الشاعر:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيّ آدمَ حَاجَةً وَسَلْ الذّي أبوابُه لا تُغْلَقُ

وكيف يكون الله قريبا من عباده برحمته وفضله وعنايته.

ومن خلال هذه الأسماء يتضح أنها تجمع صفات الكمال لله وحده، وتنفي عنه النقص، فكل نفي في صفات الله تعالى يثبت كمالا له سبحانه فنفي النوم عنه تعالى في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] إثبات لكمال القيومية ونفي العجز

عنه في قوله ولا يؤده ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إثبات لكمال القدرة؛ ولذلك جرى المثل بإثبات الكمال المطلق لله وحده **(الكَمَال لله وَحْدَه)** بعكس الإنسان فالنفي عنه يُعد نقصاً بيِّنا لكنَّه في حق الله كمال وتنزيه مطلق، أي أن الإنسان مهما بلغ من المناصب يظل غير كامل ويبقى عمله ناقصا؛ وإن بلغ الكمال يعود مرة أخرى إلى النقص؛ لأن الكمال لله وحدة[١٣٢]. فكل ما اتَّصف به المخلوق من كمال فالله أولى به؛ وكل نقص في حق الإنسان هو كمال في حق الله فالإنسان من صفاته السهو والنسيان، والله تعالى نفى ذلك عن نفسه قال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] وربما كان هذا المثل **(جَلَّ مَنْ لَا يَسْهُو)** مثْبتًا للكمال الإلهي في مقابل استيلاء السهو والنسيان على جملة البشر.

من يتأمل هذه الأسماء نجد أنها جميعا تتعلق بأسماء معينة تناسب ظروف واحتياجات تلك الفئة، فهناك الأمثال العامية التي تعبر عن حياة الإنسان اليومية التي يحتاج فيها الإنسان العادي إلى الله الرزاق والكريم والرحمن والحفيظ والستير وكلها أسماء قريبة من تفاصيل الحياة اليومية التي يحتاج إليها الإنسان كل يوم أكثر من غيرها بحسب أحواله المختلفة، ومن ثم يتعلق بها ويدعو الله بها ويذكرها في أمثاله وكلامه، ولعلنا نلحظ أن أكثر أسماء الله الحسنى التي كثرت حولها الأمثال العامية هي اسم الله الرزاق، والرحمن والوكيل والكريم واللطيف والستير ثم تأتي بقية الأسماء الإلهية كالحفيظ والغني والمغني والنصير والقريب، ومعلوم أن هذه الأسماء، وهذه الصفات تجمع معاني الكمال والجمال، وذلك ما يحتاج إليه العامة في حياتهم اليومية.

وبعد أن عرضنا هذه الأسماء الحسنى يجدر بنا أن ننبه إلى ضرورة الدعاء بها والتعبد فهو خير بدء، وليس كما يفعل العوام وغيرهم في الأفراح أن يستهلوا ببركة الأسماء ثم يتحولون إلى الأغاني الهابطة، على الرغم من أن المثل قال: **(اللِّي أَوّلُه بِسْم الله، آخِرُه الْحَمْد لله)** ويُضرب في طلب

معونة الله أولا وآخرا، ويريدون إذا كان البدء حسنًا فالختام حسنًا" (١٣٣) فإذا بدأنا بأسماء الله تعالى فيجمل العمل بها تمثلها والعمل بها، ومن العمل بها يجب أن نمتنع عن الحلف بغير الله، والحلف هو القسم، والقسم لا يكون إلا بعظيم، ولكن بعض الناس يستعمل بعض الألفاظ والتعابير في القسم بغير الله تعالى، وذلك يقتضي تعظيم المحلوف به، ومنها: و **(النَّبِي)**، و **(الْخَتْمَة الشَّرِيْفَة)**، و **(النَّعْمَة)** أي الحلف بِنعَم الله، وقولهم: **(بِذمتَك)** و **(ورَحْمِة أَبُويَا أو أمي)** و **(حَيَاتِك الْغَالِيْة)** و **(الْعِيْش والْمَلح)** والْحَلف بالطلاق **(وعليَّ الطَّلاق)** و **(وِارَس أَبُويَا)** و **(وِشَرَف أُمِّي)** و **(دَخِيْلَك النَّبِي)** تعبير يعني حلفتك بالنبي (١٣٤) **(سَايق عَلِيْك النَّبِيّ)** وغيرها من الأمور التي نهى الشرع الحنيف عن الحلف بها؛ لأن الرسول ﷺ علمنا أنه "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" (١٣٥) وقال الرسولﷺ: "لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقين"(١٣٦) فالحلف والدعاء والمناجاة لا تكون إلا بالله أو أسمائه.

رابعا- الإيمان القدر:

الإيمان بالقدر هو الركن الأخير من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها كما ورد في حديث جبريل المشهور، ومعنى القضاء والقدر هو تعلُّق علم الله تعالى بالكائنات، وإرادته لها أزلاً قبل وجودها، فلا حادث إلا وقد قدَّره، أي سبق علمه به، وتعلقتْ به إرادته.

ومن الواضح أن بين القضاء والقدر علاقة تلازم، فالقدر كالأساس والقضاء كالبناء ولا يكون بناءٌ بلا أساس. فالقدر يعني علم الله تعالى الأزلي وإحاطته وتقديره للأشياء في اللوح المحفوظ قبل وقوعها، وهو علم تام بما كان وما سيكون. والقضاء هو وقوعُها وتنزُّلها في الزمان حسب العلم السابق.

وتأسيساً على ذلك عبرتْ الأمثال العامية عن الإيمان بالقضاء والقدر بعدة ألفاظ، هي: القسْمَة، والنَّصيب، والحَظ، والبخْت، والمقدَّر، والمكتوب. وتعبر هذه المفردات عن محاولة فهم علاقة الارتباط بين العلم الإلهي الأزلي وأفعال الناس وسلوكياتهم الآنية وتنزل الحوادث في واقع الحياة اليومية حسب العلم الأزلي، فهل للعلم الإلهي الأزليِّ صلةٌ أو تأثير ما للعلم الأزلي في الأفعال والسلوكيات التي تقع من الإنسان في يومه وغده؟ يتضح الجواب من خلال ملاحظة أن تلك الألفاظ السابقة (القسمة، والنصيب...) التي تؤكد على وجود هذه العلاقة بشدة، ومن ثم فهي تعبير عن الإيمان بالقدر في حياة الإنسان ومحاولة تفسير كلِّ فعل بأنه قدريٌّ أو مكتوبٌ، فهل هذا صحيح؟ في الواقع أن هناك أمثالًا عامية كثيرة تؤكد وجود علاقة بين القدر وأفعال العباد من خلال صفة العلم الإلهي السابق، وقد ورد ذلك في المثل: **(اللِّي فِي عِلْم الله غَالِب)** و **(اللِّي فِي عِلْم الله هُوَ اللِّي يَكُوْن)** ويُضرب ذلك في الحضّ على الرضا بقضاء الله وقدره [١٣٧]؛ لأنَّ ما قدّره الله واقع لا محالة، أمَّا ما وقع منه فلا يمكن أن يعود فيه كما ورد في المثل **(اللِّي فَات مَاتْ)** أو **(اللِّي فَاتْ مَا يَرْجِع، واللِّي جَيّ مَا فِيْه حِيْلَه)** ويضرب هذا المثل في سلطان القدر.[١٣٨] ويَجْمُل بنا أن نقف مع كل لفظ بحسب تداولها في الأمثال العامية على النحو الآتي:

١ـ القسمة:

ورد لفظ القسمة معبراً عن معنى القدر في كثير من الأمثال العامية، حيث قالوا في المثل: **(اللِّي لَه قِسْمَه فِي شَيء يشُوْفُه)** لاسيما في عزاء إنسان في فرصة ينتظرها، ويريد أيضا أن ما قدِّر للإنسان سيناله [١٣٩]، وعبروا عن نفس المعنى في مثل آخر بلفظ (يحصله) بدلا من (يشوفه) كما ورد قولهم: **(اللِّي لَه قِسْمِه فِي شَيء يَحْصِّلُه)** حتّى وإنْ غَلَب على ظَنّ صاحب الفرصة أنَّها لن تفلتْ منه بعد استنفاد أسبابها وتمكّنه منها، فإنْ قدَّر الله غير ذلك فستكون حتماً لغيره وستفلتْ منه لا محالة حتّى وإن كانت لقمة في فِيْهِ، وقد عبر المثل العامي عن هذه المفارقة **(تِبْقَى فِي بُقَك**

وِتقْسِمْ لِغيْرَك) فإن انتهي الأمر وقسمت للغير بالفعل، عبروا عن ذلك في المثل القائل: **(كُلّ شِيء قِسْمَة ونَصِيْب)**.

٢- النصيب:

النصيب هو ما يصيب العبد من قدر بعد مقاسمته؛ وقد يكون حسنا أو مكروها، والغالب عليه استعماله في المعاني السلبية كالمصائب ونحوها. وهناك أمثال عاميّة أخرى عبرتْ عن القَدر بلفظ "النصيب"، أي الجزء المقسوم له، وهناك ارتباط بين النصيب والمصائب في كثير من الأمثال، فيقولون: **(اللِّي صَايبَك مِشْ مِخَطّيك)**، ولعله تعبير عن المعنى الوراد في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فأصاب في الآية من الإصابة التي تُقابل الخطأ، وذلك يعني أن القدر لا يخطىء صاحبه إن كان مكتوبًا بل يُصِيْبُه حتمًا، وقالوا في المثل أيضا عن حتمية وقوع القدر بطريقة الإثبات: **(نَصِيْبَك يِصِيْبَك)** (١٤٠) أو بطريقة النفي والحصر: **(مَا يِصِيْبَك إِلَّا نَصِيْبَك)** ولعل هذين المثلين يعبران عمّا ورد في الحديث الذي قال فيه الرسولﷺ لابن عباس: "وتَعلم أن ما أصابَك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك" (١٤١) وبعد أن يقع القدر ويحصل الإنسان على نصيبه المقسوم يقولون في المثل: **(الوَاحِد مَا يَخُدْشْ أَلَّا نَصِيْبُه)** ويستخدم المثل أحيانا لإبداء التأسف على ما أصابه، فإن قدَّر الله أمرا على إنسان فهو واقع له لا محالة مهما حاول أن يأخذ بأسباب النجاة والحذر؛ ولذلك قالوا في المثل: **(الْحَذَر مَا يِمْنَعْشِ قَدَر)**(١٤٢) وقد تمثل علي بن أبي طالب هذا المعنى قبل المعركة بقوله:

أيُّ يَوْمَيّ مِنَ الْمَوْتِ أَفِرُّ ... يَوْمَ لا يُقْدَرُ أم يوم قَدِر
يومَ لا يُقْدُره لا أَرْهَبُّهُ ... ومنْ الْمَقْدُوْر لا يَنْجُو الْحَذِر

وقد تقع المصيبة أحيانا ولا تخطيء صاحبها من حيث لا يتوقع الحذر وقوعها على الإطلاق كما ورد في المثل: **(يُؤْتَى الْحَذِر مِنْ مَأْمَنِه)** (١٤٤) إذ مهما

توقَّى الْحَذِرُ المَكروه أو الشدائد (المصيبة) أن تقع به لا يستطيع إذا كان الأمر مقدرا عليه، وفي المقابل نجد مثلا آخر يتعارض ظاهريًّا مع هذين المثلين السابقين (**البَّاب المَقْفُوْل يُحُوْشْ القَضَا الْمُسْتَعْجِل**) (١٤٥) فالقضاء نافذ لا محالة، ولكن مضرب المثل يشير إلى ضرورة الأخذ بالأسباب على الرغم من أنها لا تمنع وقوعه إلا إذا أخذ بأسباب الدعاء، فهو وحده الذي يرد القضاء كما أخبر الرسولﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِّر". (١٤٦)

٣- المكتوب:

هناك اعتقاد شعبي سائد أن الله تعالى كتب على جبهة كل إنسان منذ ولد، ومشهور كذلك أن الكتابة على جبين الدجال كلمة كافر- من أهم العلامات التي سيعرف بها قبيل قيام الساعة فضلا عن الكتابة الأزلية في اللوح المحفوظ، ولعل ذلك كان سببا في ذيوع كثير من الأمثلة الشعبية حول هذه المكاتيب التي لا بد من وقوعها فقالوا مثلا: (**الْمَكْتُوْب عَلَى الْجِبِيْن تَرَاهُ الْعِيْن**) (١٤٧) أو (**لاَزِم تُشُوْفُه الْعِيْن**) أي أن ما قُدِّر للإنسان من خير أو شر فهو حتماً مُلاقِيه في حياته؛ لأنه قدر له منذ خلقه وميلاده ولا خيار له في رد قضاء الله وقدره (١٤٨) وربما كانت هذا الأمثلة مأخوذة من حديث النبي ﷺ الذي استُعمل فيه الفعل كتب مرتين: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفتْ الصحف" (١٤٩). وفي ذلك دعوة للإيمان بالقضاء والقدر وأنه لا خوف من المستقبل أو محاولة الهروب من الواقع؛ لأن الأمر كما قال المثل: (**المَكْتُوْب مَفِيْش مِنُّه مَهْرُوْب**)، ومن ثم فوقوع القدر المكتوب سواء كان بالخير أو الشر قائم لا محالة حتَّى لو تحصَّن الإنسان بأسباب الحيطة والحذر (**اللِّي مَكْتُوْب عَلَيّ لَازم أَرَاه وَإِنْ كُنْتْ فِي قُمْقُمْ وعَلَيّ غَطَاه**) (١٥٠) وعندئذ تتوقف أقوى الحواس عن العمل فالعين لا ترى إلا من رؤية الأمر المقدر وحده، وهذا أمر جرى به المثل (**سَاعَة القَضَا يعْمَى**

البَصَر). لذلك فإن الأمر المقدر واقع لا محالة كما يقول المثل: **(الْمُقَدَّر لَابُد مِنْ نَفَاده)** [١٥١] وهذا يتفق مع قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

٤ـ الحظ:

من أهم الألفاظ الشعبية الشائعة في التعبير عن القدر بمعناه الإيجابي، بمعنى أن ما يصيب الإنسان يقع في صالحه على الرغم من أن الإنسان لا إرادة له فيه، فعندما يكون الأمر من الله وحده دونما أخذ بالأسباب من الإنسان فبعض الناس يفسِّر ذلك القدر بالحظ، وقد عبر القرآن الكريم عن قارون بأنه ذو حظ عظيم، لَمَّا آتاه الله مالا وافراً استدراجاً له، وقد نعى عليه القرآن نسبته المال إلى نفسه في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] [١٥٢]، وقد يأتي الحظ بمعنى الحصة أيضا كما ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] فالحظ هنا بمعنى الحصة التي قدرها الله دون أن يكون هناك إرادة للإنسان؛ لأنه وارث غيره كما ورد في الآية.

وكثُر استعمال لفظ الحظ في العديد من الأمثال العامية كما ورد في المثل: **(إدّيني حَظّ وارْمِيْني فِي البَّحْر)** وفي ذلك تعبير عن الانفصال بين الأسباب والمسببات، فالرَّمي في البحر لمن لا يعرف السباحة يؤدي حتماً إلى الغرق، ولكن إذا كان له حظٌ فهذا معناه النجاة لأهون الأسباب أو بدون سبب أصلا. وثمة مثلٌ آخر عن الحظ وعدم ارتباطه بأسباب السعى، فإذا كان الإنسان محظوظًا أي مقدورا له بخير فقد يفتقد للأسباب ابتداءً ومع ذلك يحالفه الحظ؛ إذ يُقَال: **(الْحَظّ لَمَّا يُوَاتِي يُخَلِّي الأَعمَى سَاعَاتِي وَالْمِكَسَّح عَجَلَاتِي)**، وإنْ كان هذا المثل يخالف الواقع والحقيقة والشرع فيمكن قبوله في إطار المبالغة في الإيمان بسلطان القدر، وقد يكون الحظ سبباً في عدم التَّعَب أو الشَّقاء كما قيل في المثل: **(اللِّي مَا لُو حَظّ مَا يَتْعَب وَلَا يَشْقَى)** [١٥٣]، وتلك الأمثال لا تخلو من شائبة الجبر حيث إن بعض الناس يتشبَّث بهذه الأمثال ليبرر فشله في الحياة، بل يحتج بالقدر لما يأتيه من معاصٍ وذنوب.

ويعتقد بعض الناس في الحظ ويقولون: **(قِيرَط حَظّ وَلَا فَـدّان شَـطَارَة)** (١٥٤) ويعتقدون كذلك بأن غير المسلم قد يكون أكثر حظًا من غيره قائلين في المثل: **(حَظّ الْكَافِر وَافِر)** على الرغم من أن الله تعالى يعطي الدنيا للبر والفاجر، ولكن ربما كان تحلل غير المسلم من مشاقّ التكليف قد سمح لتمدد هذه الرؤية التي تـرى أن غيـر المسلم أكثر حظًا من غيره، وقد يسخر بعض الناس من الحظ، ويتضح ذلـك مـن خلال المثل القائل: **(يدِّي الْحَلَق لِلِّي بِلَا وِدَان)** ويضرب هذا المثل للخير الذي يـأتي للإنسان ويرفضه أو لا يستعمله، أو لا يشعر بقيمته، وهو مثل لا يجـوز اسـتعماله بحال لاسيما إذا كان يتضمن معنى التشكيك في حكمـة الله عزوجـل فـي المنـع والعطاء؛ لأن في ذلك إساءة أدب مع الله وسوء فهم لحكمته في العطـاء كمـا قـال سـبحانه: ﴿كُلًّا نُمِـدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَـؤُلَاءِ مِـنْ عَطَـاءِ رَبِّـكَ وَمَـا كَانَ عَطَـاءُ رَبِّـكَ مَحْظُـورًا﴿٢٠﴾ [الإسراء:٢٠]، وهو يتعارض كذلك مع مثل آخر يدل على حكمة الله تعالى وحسـن تقديره، فقيل في المثل: **(رَبِّنَا شَق البَحْر وَمَدُّه وَإِدَّى كُلّ وَاحِد عَلَى قَدُّه)** وهو يتسق مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَـدَرٍ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعـالى أيضـا: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـكِنْ يُـنَزِّلُ بِقَـدَرٍ مَـا يَشَـاءُ إِنَّـهُ بِعِبَـادِهِ خَبِـيرٌ بَصِيرٌ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

والحق أن الحظ اعتقاد غير صحيح؛ فالله تعالى لم يميز بين الناس بمعـايير دنيوية يرى فيها الناس حظوظهم، فليس كما يدعي بعض الناس من أصحاب الحـظ العاسر الذين يقولون: **(الْحَظّ عَارِفْ صُـحَابُه)** أو **(الْبَخْـت يِتْبَـعْ أَصْـحَابُه)** (١٥٥) و**(الْمَنْحُوْس مَنْحُوْس وِلَوْ عَلَّقُوا عَلَى رَأسُه فَانُوْس)**، وإنما ميَّز بينهم في الدنيا بما ينفعهم في الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْـثَى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِـيرٌ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يقـل أكثركم حظًا أو مالًا أو جاهًا أو سلطةً أو ولدًا.

٥- البخـــت:

البخت هو حسن الحظ، وهو كما عرّفه الآمدي- عبارة عن وقوع أمر ما لا عن قصد ولا عن فاعل (١٥٦) أي وقوع أمر مع فقد الأسباب المؤدية إليه، فإذا كـــان الأمر المقدور إيجابيًّا فإنَّ الخيال الشَّعبي قد عبَّر عن ذلك بالبخت في إشارة إلـــى أن هذا المكتوب الإلهي السابق وقع مع عدم الأخذ بالأسباب من العبد، ويكون غالبا في صالحه كذلك، أي خيرا وُفِقَ إليه؛ ولذلك قالوا عن البخت في المثل: **(قِيرَاط بَخْت وَلَا فَدّان شَطَارة)** (١٥٧) فالشطارة في المثل هي اكتمال الأخذ بالأسباب وتمامها، وعلـــى الرغم من ذلك فإن قيراط البخت يعدل فدان شطارة بمعنى أن البخـــت قـــد تجـــاوز الأسباب جميعا، ويقولون في المثل: **(بَخْتَك يَا أَبُو بِخِيْت)**. (١٥٨) أي أن للإنسان حـــظٌّ ونصيب في الحياة لن يتجاوزه حتى إن اتَّخذ من البخت كنيةً له "أبو بخيت" استهلالا بالبخت الجَيِّد المتجدد، ومن ثم فلا يلوم الإنسان الزمان ولا يتذمر من نصيبه؛ لأنـــه لن ينال غيره، أما قليل البخت (غير الموفق)-حتى لو أخذ بالأسباب- فإنه لن يصل إلى مراده بسهولة حيث يحدث له أحيانا ما لا يمكن توقُّعه إن كان غير موفق؛ فيكون كما قال المثل: **(قَلِيْل البَخْت يِلَاقِي الْعَضْم فِي الْكِرْشَه)** و **(قَلِيْل الْبَخْت عَضُّه الكَلْـــب فِي الْمُوْلِـــد)** وقالوا أيضا عن الرجل الذي يأخذ بكافة أسباب الرزق المتنوعة (سـبع صنايع) ولكن يجانبه التوفيق أو البخت: **(سَبَع صَنَايِع وَالْبَخْت ضَايِع)**، وقالوا عـــن المرأة سيئة الحظ في كل محاولة تسعى إليها: **(بَخْتِهَا مِعَاهَا أَيْن مَا تَمْشِى يَتْبَعَهَـــا)**، وكأن القدر يتعقبها في الطرقات والشوارع، وهي تسعى لتغييره- بأن سعيها لن يفلح أبدا: **(بَخْتِي لَقَانِي فِي الطَّرِيق يُعْرُج، قَالِي: اِرْجِعِي يَا خَيْبَه لَا رْقُد)**. وهـــذا المثـــل يعبر عن سوء القدر، ويجب على الإنسان ألا يعتقد فـــي البخـــت وعليـــه أن يأخـــذ بالأسباب المباشرة كما يقول شكسبير: فـــ"الإنسان سيد بخته، وفي معظم الأحـــوال- التي يخيب فيها- (فعليه) الملامة على نفسه لا على نجمه". (١٥٩)

وبعد عرضنا لهذه المصطلحات التي عبرتْ عن القدر سنجد أنها تتفاوت فيما بينها، إذ نلحظ أن القدر إذا كان صاحبه غير موفق فيه فيغلب تفسيره بألفاظ، مثـــل:

المقسوم، والنصيب، والمكتوب، ومن ثم يغلب عليه النزعة التشاؤمية؛ لأنه استنفد الأسباب ولم يوفق، أما إذا كان موفقا وإنْ لم يأخذ بالأسباب فيُعبر عنه بلفظ الحظ والبخت. وهي نظرة يغلب عليه التفاؤل؛ لأنه لم يأخذ بالأسباب وكان القدر حليفه.

مهما يكن من أمر فيجدر بالإنسان أن يأخذ نفسه بقوة إلى ما فيه مصلحتها بعيدا عن ترغيبها بالأماني الكاذبة؛ لأنها إذا ضعفت ستلجأ إلى تفسيرات أخرى تحتج فيها بالأقدار، فالأمر كما تقول الحكمة اليونانية "إذا قَوِيَتْ نفسُ الإنسان انقطع إلى الرأي، وإذا ضعفت انقطع إلى البخت". (١٦٠)

اختلف العوامّ في التعبير عن القضاء والقدر بألفاظهم وطريقتهم كما عرضنا له على النحو السابق، كما أنَّهم اختلفوا كذلك في مواقفهم منه على نحو واضح يمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع: النوع الأول أغلبه من العوام الذين يؤمنون بالقضاء والقدر، فموقفهم منه الرضا والتسليم. والثاني، يتجلى في بعض صور الاعتراض على القدر أو على حكمة الله وعدم الرضا بالقدر بطريق غير مباشر، ويظهر ذلك في ظاهرة الحسد. وهناك نوع ثالث يحتج بالقدر على سوء أفعاله التي ينسبها إلى الله، ويتجلي ذلك بوضوح في سب الدهر. والنوع الرابع يرى أن الأفعال الإنسانية لا يعتد بها طالما أن القلب عامر بالإيمان، وهذه الأنواع تتدرج من الأكثرية إلى الأقلية بحسب ترتيبها، ويطيب هنا أن أفصِّل القول فيها على النحو الآتي:

أ- الرضا بالقدر في الأمثال العامية:

استقرَّ في الوجدان الشَّعبي لدى العوامّ ضرورة الرضا بالقدر والقسمة التي كتبها الله على عباده أزلاً، إذْ حثَّتْ الأمثال العامية على التعبد بالرضا به حيث قالوا: **(الرِّضَا بالْمَقْسُوْم عِبَادَة)**، ولا ريب أن الرضا بما قسمه الله وقدَّره من العبادات الجليلة التي تحقق للإنسان السعادة والراحة في الحياة الدنيا كما قال المثل: **(اللِّي يرْضَى بِقِسْمتُه يرْتَاحْ)** وهو مستفادٌ من الحديث النبوي الشريف: "اِرْضَ بما قَسَمَ الله لك تكن أغنى الناس" (١٦١) وفي المقابل نجد أنَّ الذي لا يقبل بقسمة الله وقدره فسيكون

في حياته الدنيا من أهل الشقاوة والضنك والتَّعاسة، وقد عبرتْ الأمثال عن ذلك أيضا بقولهم: **(البَطْرَان عِيشْتُه قَطْرَان)** ولذلك فإنِّه يحلو بالإنسان أن يصبر ويشكر الله على جميل مراده؛ لأنه نافذٌ لا محالة سواء رضي أم لم يرضَ كما قال المثل: **(إِنْ صَبَرْتُم نِلْتُمْ وَأَمْر الله نَافِذ، وَإِنْ مَا صَبَرْتُم كَفَرْتُم وَأَمْر الله نَافِذْ)**. ومن ثم يكون الصبر كله خير من الله كما قال رسولنا الكريم: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبرا فكان خير له" (١٦٢) وقد أوضح رسول الله ﷺ عِظَم الجزاء الأخروي في حال كان من الصابرين: "إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، والصبر عند الصدمة الأولى، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط" (١٦٣)

ثمة أمثلة أخرى تصب في ضرورة الإيمان بأقدار الله الكونية والشرعية والرضا التام بها وإلا كان ذلك عيبًا كبيرا؛ فقالوا: **(اللِّي مَا يِرْضَيَ بِقِسْمِتُه عَايِبْ)** يضرب في ذمّ من يتسخَّط قضاء الله وقسمته؛ لأنه في النهاية لن يكون إلا ما قدره الله تعالى للإنسان الذي خلقه بقدر، فقالوا: **(اللِّي مَا يِرْضَى بِقَضَايَا، يِطْلَع مِنْ تَحْت سَمَايَا)** (١٦٤) وقالوا: **(يَا هَارِب مِنْ قَضَايَا مَا لَك رَبّ سُوَايَا)** (١٦٥) ولا ريب أن في الرضا بقضاء الله سعادة للإنسان؛ لأنه ليس بإمكانه أن يخرج عن قضائه سبحانه كما أنه لا يمكن أن يعيش بلا سماء تُظلُّه، ومن هنا تجرى على ألسنة الناس أمثال تحث على عدم التَّطلع في المعايش؛ وذلك في قولهم: **(اللِّي يَرْضَى بِقَلِيْلُه عَاش)** أو يعيش أو **(مَنْ رَضَي بِقَلِيْلُه عَاشْ)** لأنه من الرضا بقضاء الله وقدره في تقدير معايش الناس ودرجاتهم في الحياة الدنيا كما ورد في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢] وربما يكون معنى الآية قد صِيْغَ في صورة مثل شائع أيضا، وإن كان يضرب في التَّعَالى أو إنزال الناس منازلهم **(النَّاس مَقَامَات)**.

فالرضا بالقدر ضرورة؛ لأن الحياة مُتْرَعةٌ بالابْتِلاءات والاختبارات التي يمتحن به الإنسان في هذه الدنيا من فقد الأحبة والجوع والخوف والمرض وغيرها من الأمور التي قد يجزع منها الإنسان في حياته قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال في آية أخرى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١] ، وهذا أمرٌ واضح من سيرة حياة الأنبياء الذين قال عنهم خاتمهم ﷺ: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" (١٦٦)، ولعل تلك النصوص هي المعين الذي أخذ منه المثل القائل: **(الْمُؤْمِنْ دَايِمًا مُصَاب)** حتى ينقيَّه الله تعالى من الذنوب والخطايا بل تكون سببًا أحيانا في رجوعه إلى الله ويكون البلاء على قدر دينه كما أخبر الرسول ﷺ: "يبتلى المرء على قدر دينه.. فإن كان صُلْب الدين ابتلي على قدر ذلك" (١٦٧) ولا ريب أن هذه الابتلاءات في الحياة تحتاج إلى الصبر عليها كما قيل: **(الصَّبْر مُفْتَاح الْفَرَج)** فالصبر هو الأساس في زوال المصائب وتضاؤلها ولو كانت عظيمة، فالعمل الشاق في حاجة إلى مزيد من الصبر حتى ينجح، كما ورد في المثل: **(طُوْلَة الْبَال تِهِدّ الْجِبَال)** فطولة البال كناية عن الصبر الجميل الذي يحوِّل الشيء المستحيل إلى شيء ممكن كما قيل: **(اللِّي يُصْبُر يِنُوْل)** أي ينال هدفه. وهذا يعني أن الصبر له أنواع منها الصبر على البلاء كالمصائب والأمراض والصبر على الطاعات والنعم بشكرها، والصبر عن المعاصي بتركها.

والحق أن التسليةُ والتعزية للمبتلى تزيد من صبر الإنسان على بعض الأقدار والمصائب وتجعله أكثر قدرة على تحمل آلامها بإظهار المواساة تعاونًا وتكافلا من المجتمع المحيط به، ومما يزيد من صبره كذلك أمران الأول: التأمل الذاتي والتدبر لحكمة ما نزل به من بلاء؛ لأنه لو أدركها سيعرفَ أنَّ ما قدَّره الله من بلاء كان له نعمة؛ ولطفا به كما قيل في المثل: **(نُص الْعَمَى وَلا الْعَمَى كُلُّه)**. **والثاني** إذا رأى المبتلى ما نزل بغيره من مصائب وبلاء؛ لأنه حينذاك سيرى صغر مصيبته كما ورد

في المثل: **(اللِّي يشُوْف بَلَاوِي النَّاس تُهُوْن عَلَيه بَلْوتُه)**. وعلى كل حال فالمؤمن المُبْتَلي عليه أن يقابل البلاء بالصبر والرضا لاسيما أن الله قد أعد للصابرين أجرا عظيما ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] أما إذا كان البلاء يمكن رفعه كالأمراض والأسقام وللعبد فيه إرادة فهذا يوجب التَّداوي كما أمر رسول الله ﷺ: "تداووا عباد الله، فإن الله سبحانه لم يضع داءً، إلا وضع معه شفاءً، إلا الهرم"[١٦٨] فما خلق الله من داء إلا وجعل له دواء كما قال المثل: **(الله خَلَق الأَذَى والطَّب والدَّوَا)**.

ولعل ما يتوهَّمه الإنسان من حظٍّ سيِيء أو شر نظرا لكونه لا يعلم حكمة الله فيه، وإن كشف الله تعالى له عنه لعلم أنه عيْن الخير؛ وقد عبرتْ الأمثال عن ذلك المعنى تعبيراً واضحاً بقولهم: **(اللِّي تخَاف منّه مَا يجيْش أَحْسَن منه)** أي ما قدرتَ سُوءَ مغبَّته قد تجده بخلاف ما قدرتَ، أو قولهم: **(اللِّي تِعْتَلْ هَمّه مَا تَلاقِيْش أَحْسَن منه)** ويضرب لحدوث الخير عند توقع الشر [١٦٩] وقولهم صراحة إذا وقع الضرر بالفعل وكان هذا الضرر في ذاته حافزا للمتضرر إلى رفع الضر وإنجاز الخير: **(رُبَّ ضَارَّة نَافِعَة)** ؛ فيعلم- حينذاك - أن اجتماع النقيضين في الظاهر (ضارة نافعة) كان لغاية وحكمة، قال الله تعالى عنها: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] [١٧٠] ومن المهم أيضا أن نلحظ مستوى الاحتمالية في المشاكلة بين المثل والآية: فـ (رب) حرف الجر دخلت على النكرة في المثل الأول لتفيد التقليل، والآية الكريمة التي بدأت بـ (عسى) التي تفيد التَّرجِّي. ولعل الناس قد أدركوا هذه الثمرة فقالوا في المثل: **(لَوْ عَلِمْتُم الْغَيْب لِاخْتَرْتُم الْوَاقِع)** فالنافع والضَّار هو الله وحده لذلك يجب الإيمان بالقدر. ولمَّا وقف بعض الناس على حقيقة أن قدر الله تعالى لا يكون إلا بخير وإن حسبه الإنسان شرا فوضوا أمرهم إلى الله في كل أحوالهم، وقالوا في المثل الشائع: **(الخِيْرَة فِيْمَا اخْتَارَه الله)** أي أنَّ ما قدره الله لنا سيكون حتماً هو الخير

حتى وإن بدا لنا شرا الآن؛ لأننا لم نقف على عاقبته بعد. وقديما كانوا يقولــون: **(إن من الشر خيرا)** ويُضرب هذا المثل القديم عند تفاوت ما بين الشرين حتــى يكــون الأدنى خيرا بالقياس إلى الأعلى، بعض الشر أهون من بعض. (١٧١)

وواجب المسلم إزاء القدر التسليم به والرضا بوقوعه مع الأخذ بالأسباب دون أن يتخذ منه حجة يعلِّق عليها الإنسان أخطاءه أو فشله في الماضي، لأن الماضي لا يعود ولو على سبيل التَّمنى كما قالوا في المثل: **(عُمْر يَا رِيْت مَا عَمَّرْت وَلا بِيْــت)** ويا ريت هي عبارة التَّمنى في العامية (= يا ليت) التي تفيد تمنى شيء لم يقع فــي الماضي والأمل المعقود عليه في المستقبل يكون أيضا مستحيلا. والأولــى بالمســلم كذلك أن يكل المستقبل بما قُدِّر فيه إلى الله وحده، ومن هنا قالوا **(الْمُسْتَقْبَل بِيَد الله)** وحده وتلخص أبيات الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) موقف الرضا والتسليم بالقدر:

دَعِ الأَيّــامَ تَفعَــلُ مــا تَشــاءُ ... وَطِب نَفْساً إِذا حَكَــمَ القَضــاءُ
وَلا تَجــزَع لِحادِثَــةِ اللَيــالي ... فَمــا لِحَــوادِثِ الــدُنيا بَقــاءُ
وَكُنْ رَجُلاً عَلى الأَهوالِ جَلــداً ... وَشــيمَتُكَ السَــماحَةُ وَالوَفــاءُ

ب- عدم الرضا (الحسد):

هناك علاقة وثيقة بين الإيمان بالقدر من جهة وبين الحسد الذي يعدُّ صــورة من صور عدم الرضا بأقدار الله في الخلق وتدبير شئون عباده، حيث يكره الحاســد أن تَحِلَّ نِعَمَ الله بغيره من الناس ويتمنى زوالها عنهم؛ لتكون لــه وحــده، قــال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، وفضل الله ونعمه لا تُعدّ ولا تُحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، فقد تكــون النعمــة صحةً أو مالًا أو ولدا أو جاها وسلطانا..إلخ، ومن الإيمــان والخيــر -كمــا علمنــا رسولناﷺ أن تُحبَّ لأخيكَ ما تحبُّ لنفسك (١٧٢) وليس كما يتمنَّى الحاسد زول نعمــة الله عن الناس، ومن ثم فالحسد شر (١٧٣) وإلا لما اســتعذنا منــه ﴿وَمِــنْ شَرِّ حَاسِــدٍ إِذَا

حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] ولا ريب أن الخير والشر لهما ارتباط وثيق بالإيمان بالقدر؛ لأنه لا يقع شرٌّ أو خير إلا بعلم الله تعالى السابق، فهو وحده النافع والضار لاسيما إذا عرفنا أن بعض الناس يخشون بشدة من أعين الحاسدين؛ وذلك الخوف يتعارض مع صدق التوكل على الله وحده وحكمته تعالى في المنع والعطاء.

ومما يُستدل به على صلة الحسد بالقدر قوله ﷺ: "العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين" (١٧٤) وهذا يعني أن الحسد حقيقة قائمة، والعين أبرز الوسائل المستخدمة فيه لقول الرسولﷺ: "العين تُدخل الرجلَ القبر، والجملَ القِدْر"(١٧٥) فكأن العين هنا مؤثرة تأثيرا خارجيًّا بعد أن تكون قد أثرتْ على القلب وحركت الكراهية فيه كما ورد في المثل: **(العِينْ ما تِكْرَهش إلاّ احسنْ منها)** فالكُره هنا هو حَسَدٌ؛ محلُّه القلب: لأنَّه يتمنَّى زوال النعمة عن غيره باعتبار أن المعيون أحسن منه. ولكن إدراك الحُسْن ابتداءً كان بالعين، ألمْ يقولوا في المثل أيضًا **(الْبِعِيْد عَن الْعِيْن بِعِيْد عَنْ الْقَلْب)**؟ فالعين كعدسةٍ خارجية تؤثر على القلب حبًّا أو كرهًا، ويعتقد العوامّ في الحسد بالعين بصورة كبيرة، وفي تأثيرها على المَعْيُون، ولذلك قالُوا في المثل: **(عينَك الصَّافْيَّه ما خَلّتْ عَافْيه)** أو **(عينَك الصَّافْيَّه جَبتْلِي الْكَافِيّة)** وربَّما قصدوا عين الحاسد الصفراء الحارَّة التي تُمرض الصحيح، كما يشيع في المعتقد الشعبي وكانوا يخشون كذلك العين الزرقاء؛ لأنها تصيب غيرها بالحسد، ومن هنا امتزجتْ الخرافة بشيء طفيف من الحق على سبيل المبالغة في تأثير لون العين لدى بعض الناس، وكأنَّهم يلتمسون لأثر العين الحاسدة علامة في عين الحاسد، وهذا يتناقض مع الحقائق العلمية التي تُرْجِع اختلاف لون العين إلى الجينات الوراثية من الوالدين.

والحق أن الحاسد له نفسٌ طُلَعَة، تَسْتَمرىء الإيذاء، وترى أن ما عند غيرها يملىء العين أكثر مما لديه حتَّى ولو كان شيئًا يسيرا لا يُحْسد عليه أصلا، وقد عبَّرتْ الأمثال العامية عن حقارة نفس الحاسد ووضاعتها لاسيما إذا بات الحسد له

طبعًا وسجيةً، إذ قالوا في المثل عن حاسدي النِّعم ولو كانت يسيرة: **(يِحْسُدوا الغَجَر عَلَى ضِلّ الشَّجَر)** فالغجر فئة من الناس رقيقي الحال لا مأوى لهم، فليس هناك شيء يُحسدون عليه إلا نعمة الظل الذي سكنت أجسادهم إليه بعد عناء الكدِّ والتَّعب، فالظِّل لا يُحسد عليه لأنه زائل وليس ملكا لأحد، ولكن الحسود لا يفتأ أن يحسد من به نعمة ولو كانت يسيرة جدا، فالذي لا يملك ملابس لا يسلم من عين الحسود إذا كانت لديه قدرة على شراء الصابون **(يحْسِدوا العريانْ على شْرَايَةِ الصَّابون)** أو يحسده على شواربه الطويلة **(حَسَدْنِي البِّيْن عَلى كِبَر شوَارِبِي)** والبين هنا يطلق على الحاسد تشبيها له بغُرَاب البين في سوء منظره وفِعَاله، ولا يتورع الحاسد كذلك عن حسد جاره على أشياء معيبة في ذاتها كطول رجل المرأة فعلى الرغم من أن ذلك عيب فيها فلا يفتأ الحسود عن حسدها كما ورد في المثل **(حَسَدتْنى جارْتى على طُول رجْليَّه)**، أو في يحسده على الموت يوم الجمعة **(حَسَدُوْا الْمَيِّتْ عَلَى مُوْتة الْجُمْعَة)** لفضل ذلك اليوم، ويفسر حسد الجارة هنا اعتقاد شعبي ورد في مثل آخر **(الكُرهِ منِ الأهل، والحسد من الجيرانْ)** وهذا غير صحيح لأن الحسد سببه كره، ولكن الكره من الأهل قد لا يكون مصحوباً بتمنى زوال النعمة، ومن ثم فلا نستطيع أن نميّز بين من يكرهون حسداً أو يكرهون فقط، فضلا عن كونه مخالف لقول الرسولﷺ الذي أوصى بالجار قال: "لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره – أو قال لأخيه ما يحب لنفسه"(١٧٦) فالجار له حقان: حق الجوار، وحق الأخوة، وكلاهما يُحب له الخير، أما أن كان الجار من الأهل فله حقٌ ثالث، وهو حق القرابة. وليس بالضرورة أن يكون كل جار حاسد لجاره.

ونظراً لأن للحاسد طبيعة شريرة على الرغم من أنه قد يكون لديه ما يزيد عمَّن حسده، ومع تأصُّل ذلك الداء الخطير تكون عينه فارغة حاسدة لا محالة حتى قالوا في المثل: **(أبو ألْف حَسَد ابوميِّه)** و **(أَبُو جَمَل حَسَد أَبُو مِعْزَة)** وإذا لم يجد من يحسده ربما حسد نفسه، ولذلك قالوا في المثل: **(مَا يِحْسِد الْمَال إِلَّا صُحَابُه)** وحاله كما قال الشاعر:

اصْــبِرْ عَلَــى كَيْــدِ الْحَسُــودِ فَـــإِنَّ صَـــبْرَك يَقْتُلُـــهُ
النَّـــارُ تَأْكُـــلُ بَعْضَـــهَا إنْ لَـــمْ تَجِـــدْ مَـــا تَأْكُلُـــهُ

وقد حذر الرسول ﷺ من خطورة الحسد في قوله :"إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" (١٧٧) وبناء عليه نجد أن نفسيَّة الحاسد غير مستقرة على الإطلاق، ونفسه منه في تعبٍ ونصبٍ كما قال المثل: (**الْحَسُوْد تَعْبَان**)؛ لأنه يتطلّع إلى ما ليس في يديه سواء كان كثيرا أم قليلا كما ذكرنا وسر تعبه كما يقول تيمور باشا في الأمثال العامية إنه في همٍّ دائم مما خصَّ الله به غيره، فلا ينتهي تعبُه، ولا ينقطع نصبه. فهو كالملتفتْ لا يصل أبداً لأنه متوزع البال، ولذلك يقولون في المثل: (**عُمْر الْحَسُوْد مَا يسُوْد**) لأنَّه- كما قال شكسبير-: لا يهدأ للحسود بالٌ ما زال هناك أرفعُ منه. (١٧٨)

وحذرتْ الأمثال العامية من العين وخطرها فقديما كانوا يقولون (**عِين الْحَسُود فيها عُوْد**) ، وإنْ كان العود يستعمل قديما في الضرب كسلاح فقد استعملوا حديثًا لفظًا معاصراً لنفس السلاح عبروا عنه بأثره، وهو رصاصة كما ورد في المثل: (**عيْنُه ينْدَب فِيها رُصَاصَة**)، والمثل يُضرب في جواز خرق عينه عقوبة له على حسده بها، فالجزاء من جنس العمل؛ لأنه كما قالوا في المثل (**الْعِين فَلَقِتْ الْحَجَر**) ومن ثم يجوز خَزْقُها أو على الأقل التَّخْمِيْس في وجه الحاسد كما هو سائد في المعتقد الشَّعبي في التعامل مع هذه الظاهرة المجتمعية كما ورد في المثل أيضا: (**حَصْوَّة فِي عِيْن الْحَسُوْد**) أو (**حَصْوَّة فِي عِيْن اللِّي مَيْصَلِّيْش عَلَى النَّبِي**)، والحصاة في المثل يشترط أن تكون مِلْحًا، لأن هناك معتقدا شعبيًّا بأن الملح ورشه يذهب حسد العين أو السحر، والأولى من ذلك الوهم التعوذ من عين الحاسد بالدعاء لله كما علمنا رسول الله ﷺ: "أعوذ بكلمات التَّامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة". (١٧٩) وليس بتعليق التمائم والخرز والخمسة وخميسة، لأن الرسول ﷺ قال: "من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودَعَةً فلا ودع الله له" (١٨٠) وكذلك

رأوا أنه لا عذر لمن يترك ما يَخْشَى عليه في العلن أمام أعين الناس ثم يشتكي منهم أو يدعو عليهم بعد ذلك كما ورد في المثل **(خَزَانة مِنْ غيرْ بابْ، ويقولوا ياربّ اكفينا شرِّ الحُسَّادْ)**؛ لأنه لم يلتزم بقول رسولنا الكريم ﷺ : "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود" (١٨١) وقد ورد مثل آخر يؤكد على هذا المعنى **(دَارِي عَلَى شَمْعتَك تِقِيْد)**.

ج- الاحتجاج بالقدر في الأمثال العامية:

من الواضح أن هناك من يرضون بالقدر في حالة الإيجاب بمعنى إذا كانوا موفقين فيه، وهناك أيضا من يتبرمون منه بل قد يحتجون به على سوء أفعالهم كما يفعل بعض الناس اليوم إذ يسوغون فشلهم وخيبتهم الكبيرة تحت زعم القدر والمكتوب السابق عليهم في علم الله ومشيئته، وتلك بدعة قديمة احتج بها المشركون على شركهم ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: ١٤٨] وظهرتْ قديما كذلك لدى بعض النابتة الذين ارتكبوا المعاصي والكبائر، إذ تذكر الروايات أنه جيء بسارق يدَّعي أنه سرق بقضاء الله تعالى عليه، فأقام عمر عليه حدَّ السرقة ثم ضربه أسواطًا، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: القطع للسرقة، والجَّلْد لِمَا كذب على الله (١٨٢)، وقد قيل لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما: "ظهر في زماننا رجال يزنون، ويسرقون، ويشربون الخمر، ويقتلون النفس التي حرم الله، ثم يحتجون علينا، ويقولون: كان ذلك في علم الله. فغضب ابن عمر وقال: سبحان الله! كان ذلك في علم الله، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي". (١٨٣)

وقد عبرتْ الأمثال العامية عن هؤلاء المحتجين بالقدر على اجتراح المعاصي في قولهم عن الرجل العاجز عن تصريف شئونه: **(العَاجِز فِي التَّدبِيْر يُحِيْل عَلَى المَقَادِيْر)** (١٨٤) وقولهم عن المرأة الفاتنة: **(اتّغَنْدَرِي وَقُوْلِي مِقَدَّرِي)** (١٨٥)

ويضرب المثل في المرأة التي تفعل الفجور وتَنْسبه إلى قدر الله، على الرغم من أنها هي التي تُغوي الرجال بإرادتها، ولكنها لا تنسبه لنفسها وإنما تنسبه إلى قدر الله باعتبار أنه قدرٌ مكتوب، وثمة أمثال أخرى تستنكر الاحتجاج بالقدر كذبا كما قال المثل: **(إرْمِي نَفْسَك فِي النَّار وَقُوْل مِنْ مَعَامِيْل السَّحَّار)** أي يجب ألا نلقي بأنفسنا في المهالك ثم نلوم الزمان على سوء أفعالنا لاسيما أن الله تعالى قد نهانا بقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهناك مثلٌ آخر يقولون فيه: **(اِرْمِي حَالَك مِنْ عَلَى الْحِيْطَان وِقُوْل مِن تَقَادِيْر الرَّحْمَن)** [١٨٦] إذ أشار إلى التَّخلِّي عن الأخذ بالأسباب الصحيحة ثم الاحتجاج والتَّعلل بالقدر بعد اقترافهم ذلك، وكذلك المثل القائل: **(يَفْتَح الْعِيْن لِلدَّبَّان وِيقُوْل دَا قَضَا الرَّحْمَن)**، فهذه الأفعال صدرتْ عن صاحبها بإرادته ولكنه يتنصل منها وينسبها إلى غيره، وقد يعللون سوء فِعَالهم لاسيما إذا وقعوا تحت تأثير الضعف واليأس والقهر كما قيل في المثل: **(آدِي الله وَآدِي حِكْمَتُه)**، ومن ثم يُعلِّق عدم أخذه بالأسباب الصحيحة بأنَّها حكمة الله وقدره، وذلك جهلٌ مركب؛ لأنَّ فاعله يعلم أنه ارْتَكب إثمًا بإرادته، ومع ذلك يصرُّ على نسبته إلى الله تعالى مع تنزيه نفسه عن السوء على الرغم من أن هناك مثلا عاميًّا أثبتْ القدرة للإنسان فإنْ كان المقدور خارجًا عن قدرة الإنسان فيمكن أن ينسبه حينذاك إلى قدر الله كما قال المثل: **(اللِّي مَا تِقْدَر عَلِيه حِيْل اللهْ عَلَيه)**. [١٨٧]

سب الدهر:

ومن الاحتجاج بالقدر أيضا اتّهام الزمان وسبّ الدهر، وقد وردتْ أمثال كثيرة تحيل سوء القدر على الزمن، وينسبون عجزهم إلى الدهر، ويكون ذلك مسوغًا أحيانًا لسَبّ الدَّهر، فيقولون: **(الزَّمَن غَدَّار)** و **(زَمَن أَغْبَر، سَنَة سُودَا، يَا وَاقَعَة مِهَبِّبَه بِهِبَاب أَسْوَد)** و **(هَتِبْقَى أَنْتَ وَالزَّمَن عَلَيَّا) (فُلَان جَار عَلَيه الزَّمَن)** أي تغير حاله من اليسر إلى العسر، وهناك عبارات، مثل **(الزَّمَن معَانِدْنِي) (الزَّمَن مِعَاكِس)**[١٨٨] **(إذَا لَمْ تَكُنْ لِي وِالزَّمَان شُرُم بُرُم فلا خَير فِيك والزَّمَان تَرَلَّلِي)** وكلها

تدل على أن الحواث تجري على غير ما يأمل صاحبها، بل تعاكسه أحيانا، وهنالك يجد لنفسه مسوغًا ليعلق عليه أخطاءه وفشله، وقد نهى الله عن سبَّ الدَّهر: "يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدُكم: يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما" (١٨٩) وقد عبّر عن ذلك الشاعر حينما قال:

نَعِيْبُ زَمَانَنَا والْعَيْبُ فينَا ... ومَا لزَمَانِنَا عَيْبٌ سُوَانَا
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَان بغيْر ذَنْبٍ ... ولَو نَطَقَ الزَّمَانُ لنَا هَجَانَا
وَلَيْس الذِّئْبُ يَأْكُلُ لحْمَ ذِئْبٍ ... وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانَا

ومن أفضل الحكم ما قاله الدكتور جنسن الذي أتى لندن وفي جيبه دينار واحد: "إن شكوى الناس من الدَّهر بَطَلٌ وظُلْمٌ؛ لأنني لم أرَ رجلاً نشيطًا مهملًا، وكل من تخيب مساعيه لومه غالبا على نفسه (١٩٠)

يَقُولُوْنَ الزَّمَان بِه فَسَادٌ ... وَهُمْ فَسَدُوا ومَا فَسَدَ الزَّمَان

د- **الجبر في الأمثال العامية:**

تعبر بعض الأمثال العامية عن مسألة الجبر والاختيار، فالإنسان لا يستطيع تغيير المكتوب عليه أو المقدر له كما ورد في المثل: **(الْمَكْتُوْب مَا مِنُو مَهْرُوْب)**، وهناك مثل صريح في صلب مسألة الجبر والاختيار يستعمل لفظ مسيَّر ومخيَّر، ويضرب للدلالة على أن الإنسان مجبر وليس حرا في اختياره كما ورد في المثل: **(ابن آدَم مُسَيَّر مَا هُو مُخَيَّر)** أي أن الإنسان غير حرّ في تصرفاته، فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يسيِّر الأمور ويهدي الناس لما يحب ويرضى. (١٩١) ويتفق- هذا الرأي- مع اعتقاد الجبرية الخلص أتباع جهم بن صفوان الذين رأوا بأن كل ما يصدر عن الإنسان من فعل الله وحده ولا قدرة للعبد في الفعل أصلا، فهو كالريشة المعلقة في الهواء تنسب الأفعال إليه على سبيل المجاز لا الحقيقة. (١٩٢)

وهناك مثل آخر يشير إلى الجبرية المتوسطة التي ترى أن الله تعالى يخلق الفعل والقدرة عليه، وذلك يعني أن الفعل يكون من العبد بقدرة خلقها الله فيه **(لمَّا يكُونْ عندَك النِّيَّة رَبِّنا يديك الإمْكَانِيَّة)** [١٩٣]، ولكنه سرعان ما يتبرأ منه وينسبه إلى الله تعالى، ولعل المثل القائل: **(مَا يَقْدر عَلَى الْقُدْرَة إِلَّا اللِّي خَالِقَها)** فيه تفسير لهذا المعنى فالله عزوجل هو الذي يخلق القدرة في الإنسان على الفعل وليس للإنسان قدرة أمام قدرة الله سوى اكتساب الفعل، وإن بدا لنا- في واقع الأمر- أننا نستطيع، وعسى أن يكون ذلك من وحي رأي الأشاعرة في مسألة الكسب، إذ يرون أن الله يخلق الفعل ويخلق في الإنسان القدرة عليه اكتساباً له دون أن تكون قدرته مؤثرة في الفعل ذاته [١٩٤]، وذلك أقرب إلى الجبر منه إلى الاختيار.

والرأي في هذه المسألة الشائكة أنّ الإنسان ميسَّرٌ لسبيله من البداية إلى النهاية وفق الرؤية القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ١٩-٢١] فالطريق الذي يختار فيه أفعاله وأقواله يكون بين البداية والنهاية، وهو الذي يختار كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، أي أنه الفاعل باختياره وإرادته عملا أو دعاءً، فالمكتوب عليه هو صفحة تعكس ما سيفعله الإنسان باختياره، فالله إنما كتب علينا ما علم أننا سنفعله باختيارنا، لاسيما أن عِلْم الله السابق لا يحملنا على فعل شيء ولم يقهرنا على فعل ما هو مكتوب في سجل أعمالنا، إذ للعلم الإلهي صفة انكشاف لا صفة تأثير في أفعالنا، كما ورد في المثل **(حَدِّ يبْقَى فِي إِيْدُه الْقَلَم ويَكْتِبْ نَفْسُه شَقِي)** تعبير يعني أن من قدر على نفع نفسه فلينفعها [١٩٥] باختياره الأصلح لها، وقال عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة لما نزل الوباء بأرض الشام وأراد عدم الدخول في حين أصر بعض الصحابة على الدخول إلى الأرض الموبوءة بحجة أن هذا قدر الله: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطتْ واديا له عُدوتان، إحداهما خصبةٌ، والأخرى جدبة، أليس أن رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله،

وإن رعيتَ الجدبة رعيتَها بقدر الله" [١٩٦] فإرادة الاختيار ترجع إلى الإنسان؛ لأنه لا يعلم إرادة الله في القدر.

ولا ريب أن الأخذ بالجبر وحده يفضي إلى نسبة الظلم والشر إلى الله، ولو صح الاحتجاج بالقدر لسقط التكليف؛ لأن المجبر لا يكلف، ومعنى التكليف أنه حرٌّ في اختياره، ولو كان الإنسان مجبرا فعلا لاحتج أهل النار يوم القيامة على الله كيف يجبرهم ثم يحاسبهم قال الله تعالى على لسان الذين ظلموا: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم:٤٤]. ولو كان الإنسان مكرهاً على الفعل لما قال الرسولﷺ لأصحابه: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" [١٩٧] ولجاز أن يكلفه الله بما لا يطيق فعله؛ لأنه مكره على الفعل، والمثل العاميّ نفسه أثبت قدرة الإنسان على الفعل كما ورد في المثل **(اللِّي مِش قَادِر عَلَى حَاجَه يِسِيْبهَا)** ويضرب للنهي عن الزج بالنفس فيما لا تستطيعه وقال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيْع

وقد عبرتْ الأمثال العامية عن الطباع الإنسانية التي تغلب الإنسان أحيانا بأسباب محيطة به، وإن حاول التَّطبع بعكسها، وهذه المحاولة في حد ذاتها تثبت أن الإنسان مريد مختار حيث عبرت عن تأثير البيئة الأسرية والتربية الأولى في سلوكه كما ورد في المثل: **(مَنْ شَبَّ عَلَى شَيء شَابَ عَلَيْه)** وقد يغيِّر الإنسان من سلوكه وطباعه فترة ما ولكنه قد ينتكس مرة أخرى، **(رَجَعتْ رِيْمَه لِعَادتْهَا الْقَدِيْمَة)** وحينذاك يتوهم بعض العوام أنه مجبر على ما يصدر عنه ولا يستطيع التخلص منه[١٩٨] كما ورد في المثل **(الْوِشْ وِش حَاجِجْ والطَّبْع مَا يِتْغَيَرْش)** كما شبَّهوا تمكُّن تلك الطباع في الإنسان ببعض الحيوانات أو الطيور كما في قولهم **(دِيْل الْكَلْب عُمْرُه مَيتعْدل وَلَوْ عَلَّقُوا فِيْه قَالِب)** وقولهم عن استمساك الحدأة بفريستها مهما حدث **(هِيَ الْحِدَّاَيَة بِترْمِي كَتَاكِيْت)** وكذلك الإنسان لا يتخلي عن طباعه بسهولة **(تُمُوْت الْحَدَادِي**

وعِيْنهَا فِي الصَّيْد) [١٩٩]، ومن ثم يتوهَّم بعض الناس أن الإنسان مجبرٌ على أمـره، وواقع الأمر أن بعض الطباع تتغلب فعلا على إرادة الإنسـان وتصـبح كـالمرض المزمن كما ورد في المثل **(اللِّي فيه دَاء مَا يِسْلاهُوْش)** حتـى إذا تـم تعزيـره أو تطبيق الحد عليه لاسيما إن كان هذا المرض هو السرقة مثلا **(تقْطَعْ إِيْـدُه وتـدلِّيها اللِّي فيه خَصْلَة ما يخَلِّيْهَا)** أي أنه لا يترك السرقة أبدا وإن قطعت يده، ولكن هـذا المثل فيه كثير من المبالغة، أي أن لكل امريء من دهره ما تعودا ويُضـرب فـي وقوف الإنسان عند عاداته [٢٠٠] وقد تبلغ غلبة سوء الطبع حدا يلزم الإنسـان حتـى موته كما في قولهم: **(يُمُوْت الزَّمَار وَاصبَاعُه يَلْعَب)** [٢٠١] كما يقولون من عاش على شيء مات عليه بل إن بعض الناس يتطرفون في إثبات فاعلية الإنسان إيجابا أو سلبا اعتمادا على قول القائل:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُـرْ فَإِنَّمَـا يُرَادُ الْفَتَى كَيْمَا يَضُـرَّ وَيَنْفَـع

ومن ثم يقولون عنهم في المثل: **(لَا مِنّك وَلَا كِفَايَة شَرَّك)** أي لا نفع منك ولا امتناع عن الشر، فنسبة الشر إلى فاعله تؤكد حرية الإرادة الإنسانية سواء خيـراً أو شراً. والحق أن الطباع ذاتها تتغير، كما أن الحيوانات المتوحشة تتحول إلى حيوانات أليفة مستأنسة بعد تدريبها وتغيير طباعها، فكيف لا تتغير طباع الإنسان التي تـوهم الجبر لا الاختيار؟!.

أ. الإرجاء في الأمثال العامية:

الإرجاء في اللغة يعني التَّأخير، وقد ورد هذا المعنى في القرآن عن موسى وهارون ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١] أي، أمهله وأخره، والإرجاء هو تأخير حكم صاحب الكبيرة في الدنيا إلى يوم القيامة، وذلك يعني أن العمل ليس جزءا من مفهوم الإيمان عند المرجئة، الأمر الذي شجع على التَّحلل من الأعمال، وذلك بالتهوين من المعاصي التي يقع فيها بعض الناس؛ إذ يسوغونها على أساس قسمة الوقت بين العبد وربه كما ورد في المثل **(سَاعَة لِقَلْبَك**

وسَاعَة لرَبَّك) (٢٠٢) ويُضرب هذا المثل لمن يَخلط عملا صالحا بآخر سيئًا كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] مع العلم بأن الوقت كله ما بين الميلاد والوفاة لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وربما يكون الفصل في الأوقات جائزا إذا كان من قبيل الترويح عن القلوب كما قال الرسولﷺ لحنظلة ثلاث مرات ساعة وساعة (٢٠٣) وكذلك ما أُثر عن الرسولﷺ: "روِّحُوا عن القلوب ساعةً بعد ساعةً فإن القلوب إذا كلَّتْ عَمِيَت" (٢٠٤) على الرغم من المفارقة بين سياق الحديث وهو الطاعة وذكر الله وسياق المثل في الواقع العملي عن جواز معاقرة الذنوب والمعاصي، فإذا كان مقصد المثل هو إعمال مبدأ التجزئة بأن تكون هناك ساعة يتبع فيها المرء هواه وأخرى يطيع فيها ربه فهذا لون من العبث، ولعله يتسق مع زعم العصاة والمذنبين الذين يجترحون السيئات فإذا ما نُبهوا إلى ما هم فيه من معصية الله سوَّغُوا ذلك بأن الله لا ينظر إلى عصيان الجوارح وعدم استقامتها، فالله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم (٢٠٥) أو كما ورد في المثل: **(رَبِّنَا رَبِّ قُلُوْب)** أي أن الله تعالى يُعطي الناس حسب نواياها الحسنة دون النظر إلى أعمالهم، ولكن النية الطيبة لا تُغني – بحال– عن العمل الصالح، ولذلك فإن هذا المثل يلتقي مع عقيدة الإرجاء التي تعتمد على فكرة أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة (٢٠٦)؛ لأن الإيمان عندهم يعني الإقرار ومعرفة الله بالقلب دون النظر إلى العمل، ومن ثم فالعمل لديهم لا يزيد ولا ينقص، ولا بأس حينئذٍ أن يقترف الإنسان الذنوب والمعاصي أو يقصِّر في واجباته ما دام قلبه عارفًا بالله تعالى، وقد يجد له حجة تسمح له بالوقوع في الذنوب والمعاصي واستمرائها طمعاً في غفران الله للذنوب طالما كان القلب عامرا بالإيمان، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] ولعل الدعاء السائر كالمثل: **(رَبِّنَا عَفُوْر رَحِيْم)** (٢٠٧) قد عبَّر عن الإرجاء للإعمال والتقصير فيها، إذ يُضرب لمن يرتكب الكبائر باستمرار معولا

على رحمة الله وغفرانه. وقد يتطور هذا المنزع العقديّ إلى التواكل وترك الأعمال بل إسقاط بعض التكليف كما فعل بعض الغلاة من المتصوفة. ولا ريب أن هذا التصور العاميّ يخالف العقيدة الصحيحة التي تعد الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان طاعة لله من غير عصيان، فما في القلب لا بد أن يظهر أثره على الجوارح والأعمال فإن كان القلب صالحا زكيًّا جاءت الأعمال صالحة كما قال رسول الله ﷺ: "في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [٢٠٨] حتى وإن وقع الإنسان في المعصية؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعات والأعمال الصالحة وينقص بالمعاصي والذنوب.

وفي مقابل تلك الأمثال التي عبرت عن مضمون إرجائي واضح، أو مضمون جبري أو مضمون احتجاجي بالقدر- نجد أن هناك أمثالا أخرى قد عبرتْ عن مسئولية الإنسان عن عمله التي وُكل إليه فليس له أن يتواني عن الأخذ بالأسباب الصحيحة؛ لأنه مسئول عما يفعل ويحاسب عليه في الدنيا والآخرة كما ورد في المثل: **(كُلّ إِنْسَان مِعلَّق مِنْ عَرْقُوْبُه)** ولعل ذلك هو معنى الآية الكريمة ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، فإن قصَّر في عمله أو أخذ بأسباب غير صحيحة فهو كذلك المسئول الأول عنها كما قال المثل: **(اللِّي يشِيْل قِرْبَة مَخْرُومَه تُخُرّ عَلَى دِمَاغُه)** أي أن كل إنسان يحاسب على اختياره لنوعية العمل الذي يقدمه، ولعل القاريء الكريم يتساءل ما علاقة العمل بالقدر والجبر والاختيار؟ والجواب أن الرسول ﷺ سئل "ما منكم أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتَّكل؟ فقال: اعملوا فكلٌّ ميسر، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠][٢٠٩] ولذلك سنجد أن كثيراً من الأمثال العامية قد ذمتْ التّبطل والقعود عن العمل لغير عذر مثل قولهم **(أَكْل وِمَرْعَى وِقِلّة صَنْعَه)** لأنه لا يأكل من عمل يده كما كان نبي الله داود عليه السلام، فالعمل اليدويّ يثبت مسئولية الإنسان الأخلاقية وفاعليته في الحياة، وليس عملا محتقرا كما كان لدى اليونان، وقالوا أيضا: **(الإِيْدِ البَطَّالَه نِجِسَه)** فالعمل وإحسانه بل اتقانه ضرورة

حياتيه إذا يقول المثل: **(اللِّي يكْرَهُه رَبِّنَا يسلَّط عَلَيْه لِسَانُه)** فالقول باللسان مبدأ العمل؛ لأنه قد يقود الجوارح إليه، فإن كان منفلت اللسان مثلا قد يمحق العمل الصالح بقبح لسانه كما قال الله تعالى ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣] ولا يصح أن يكون العمل مجرد قول جميل فقط كما قال المثل **(حُلْو اللِّسَان قَلِيْل إِحْسَان)** ويضرب للبخيل الذي يتملق الناس بلسانه دون عمل، وفيه إشارة إلى أن الإيمان ليس قولا باللسان فحسب بل يجب ارتباطه بالعمل الصالح، وثمة مثلٌ آخر يشير إلى أن القول باللسان جزءٌ مهم للتعبير عن العمل الحسن أوالإحسان الذي ورد في حديث جبريل عندما سأله عن معنى الإحسان ما الإحسان؟ أن تعبد الله كأنك تراه فإن تكن تراه فإنه يراك **(أَخَذْت إِحْسَانَك بِلِسَانَك)** فإذا كانت الكلمة طيبة فهي تدل على قلب طيب وهي صدقة كما ورد في الحديث(٢١٠)، أما إذا افتقد الإنسان للقول الحسن والعمل الحسن فأين الإيمان هنا؟ وذلك ما أشارت إليه الأمثال العامية في قولهم: **(لا إِحْسَان وَلا حَلاوّة لِسَان)** و **(مَا عِنْدك إِحْسَان مَا عَنْدَكْش لِسَان)** لأن الإحسان إما أن يكون بالقول أو بالفعل الحسن، أي يكون العمل تامًّا متقنًا كما قالوا في المثل: **(اللِّي يعْمِل جميل يِتِمُّه)** وهذا من الإيمان.

وإذا حاولنا أن نركز بصورة أكبر على طرفي معادلة القضاء والقدر (العلم الأزلي+ أفعال العباد) سنجد الأمثال العامية قد عبرتْ عن عدد من الاتجاهات: اتجاه يزعم أن أفعال العباد مقدرة سلفا على الإنسان فينسبها إلى الله الجبرية، واتجاه آخر يرى أن الأفعال يحدث العلم الإلهي بها بعد وقوعها، واتجاه يرى أن يؤخر الأعمال إلى يوم القيامة، وهذه الرؤى الشعبية لها رصيد تاريخي لدى الفرق الكلامية، ولعلها انعكاس شعبي من التراث المكتوب لدى القدماء إلى التراث الشفهي المنطوق لدى العوامّ.

□المبحث الثاني: الأمثال العامية في النبوات:

النبوات – كما وردت في اصطلاح الحكماء "عبارة عن قوة يمكن بها إدراك المعلومات من غير واسطة من تعليم وتعلم، وهي ما عبروا عنه بالعقل القدسي. وأما على أصول أهل الحق من المتكلمين فعبارة عن قول الله تعالى لمن اصطفاه: إنك رسولي" (٢١١) أي أن الله تعالى قد اختص بعض عباده من المصطفين الأخيار بإبلاغ وحيه إلى الناس كافة أو تذكيرهم به خاصة. ولم تفرق الأمثال العامية بين النبي والرسول، وإنما ساقتْ الكلام عنهما باعتبار أنهما شيء واحد ويجمل بنا أن نتناولها كما وردتْ في الأمثال العامية في النقاط الآتية:

١- النبوة وتاريخها:

لاريب أن النبوات قديمة النشأة، بل إن أبا البشر آدم عليه السلام هو أول الأنبياء عليهم السلام الذين بدأت بهم السلسلة المباركة التي اصطفاه الله تعالى وصنعها على عينه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣]، وهي سلسلة طويلة بدأت بآدم عليه السلام وانتهت بمحمدﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد أشارت الأمثال العامية إلى ذلك التتابع الزمني فأحد هؤلاء الأنبياء نوح عليه السلام، حيث قيل في المثل عن الشيء القديم الممتد في الزمن: **(نَشَأْ مَعَ نُوْح فِي السَّفِيْنَة)** (٢١٢) ومعلوم أن نوح نبيٌّ من أنبياء الله وآيته هي السفينة التي استمرتْ فيها الحياة بعد الطوفان، وفي ذلك إشارة إلى قدم النبوة من نوح إلى خاتم الأنبياء والرسل.

٢- مهمة الأنبياء والرسل:

ومهما يكن من أمر القبول أو الرفض لما جاء به الأنبياء والرسل، فإن الرسل– صلوات الله عليهم– لهم مهمة أساسيّة ليس لهم أن يتخلوا عنها، وهي إبلاغ

الرسالة كما قال تعالى عن سائر النبيين: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩] وذلك دون النظر إلى الاستجابة من أقوامهم، فقد قال الله لخاتم أنبيائه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢] وقد عبَّر المثل العاميّ عن أهم وظيفة للنبي أو الرسول بقولهم: **(مَا عَلَى الرَّسُوْل إِلَّا الْبَلَاغ)** وإن كانوا يضربونه لأي إنسان مكلف بنقل رسالة إلى غيره، وأصل هذا المثل قول الله تعالى لخاتم رسله تحديدا لدوره: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. أي أن مهمة الرسول أن يبلغ للناس ما أنزل إليه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧] وليس له علاقة بهدايتهم، فهو ليس أكثر من رسول فحسب(٢١٣)دون التفات إلى موقفهم منه؛ لأن الرسول مبلغٌ عن ربِّه ما أوحي إليه. "وقد يظهر المعنى الإنساني للنبوة وهو التَّراسل بين الأرواح والألفة بين القلوب، وما قد يتحول أيضا إلى الأغاني الشعبية مثل: **(مِنْ الْقَلْب لِلقَلْب رَسُوْل)**. (٢١٤)

٣ـ الدعوة ومعاناة الأنبياء مع أقوامهم:

ومن البلاغ تكون الدعوة التي أمر الله بها في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فقد عبرتْ الأمثال العامية عن معاناة الأنبياء مع أقوامهم وما لقوه في سبيل الدعوة إلى الله من عَنَتٍ وشدّة وإعراض وجهل لاسيما في بيئة الدعوة الأولى فلا يخفى ما قابل به قوم نوح نبيهم من تكذيب وإصرار واستكبار وما لقيه خاتم النبيين من قومه، ومن هنا جرى على الألسنة المثل القائل: **(لا يُفْلِح نَبِّيّ فِي قَوْمِه)** أو **(لا كَرَامَةَ لِنَبِيٍّ فِي قَوْمِه)** ولعل سبب ذلك هو اقترابهم واطلاعهم على حياة المقربين واعتيادهم عليهم يجعلهم غير مقبلين عليهم، ولعل البعد يخلق مهابة وقبولا أحيانا كما ورد في المثل **(الشَّيْخ البَعِيْد سِرُه بَاتِع)** ولا ريب أن العلماء هم ورثة الأنبياء ويسير على دربهم الدعاة

والصالحون ومنهم المشايخ، وكذلك الذين يقومون بواجبهم في نصح أقوامهم فلا يجدوا منهم سوى الإعراض وعدم قبول النصيحة كما قالوا في المثل عن نبي الله داود مستنكرين دعوته: **(تقرا مَزَمِيرَك عَلَى مِيْن يَا دَاود؟)** [٢١٥] و **(تِقْرَا الزَّبُوْر عَلَى أَهْل الْقِبُوْر)** [٢١٦] وهذان المثلان يعبران عن عدم قبول النصيحة أو مجرد سماعها؛ فلا فائدة في سماعها؛ لأنه لا حياة لمن يدعوهم ولا أمل في قبولها. وقال عمرو بن معد يكرب (ت٢١هـ):

لقدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حيًّا ... ولكنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَلَوْ نَارٌ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

وتلك الصورة تذكرنا بما فعله قوم نوح بإعراضهم وإصرارهم واستكبارهم عن دعوته كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

ونظراً لما عاناه نوح من المشقة والعنت والأذى فقد اختاره الله كي يكون من أولي العزم من الرسل الذين صبرواعلى أقوامهم. وذلك على الرغم من أن نبي الله أيوب عليه السلام ليس منهم مع أن الابتلاءات التي تعرض لها في حياته باتت مثالا يضرب على شدة صبره وتحمله للشدائد التي أصابته في ماله وولده وجسده حتى شاع عنه المثل القائل: **(يا صَبْر أَيُّوْب)** ويضربه كل من امتحنته الأيام والسنون ثم يصبرا عليها صبرا جميلا ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقد عرض القرآن الكريم لمحنة أيوب عليه السلام ومناجاته ربه في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]- فعلى الرغم من شدة صبره فلم يكن ضمن أولي العزم الذين صبروا على بلاء أقوامهم.

٤- الإيمان بالأنبياء والرسل:

على الرغم من أن كثير من أقوام الأنبياء قد كذبوهم في حياتهم وأنكروا عليهم دعوتهم فإن هناك أقواما آخرين قد صدقوا الرسل وآمنوا بهم وبما أرسلوا به في حياتهم وبعد مماتهم، فأتباع محمد ﷺ آمنوا به ولم يروه، وهؤلاء هم أحباب النبيﷺ الذين ورد عنهم هذا المثل **(النَّبِي مَا شُفْنَاه ولَكِّنْ آمَنَّا بيه)** كي يثبتوا أنه يجب أن نصدق بوجود أشياء أو أعمال من خلال أفعال أصحابها التي تدل عليها كما آمن من جاء بعد النبي برسالته دون أن يروه [٢١٧] بالفعل، وليس بالضروة أن يكون التصديق فقط للأمور الحسيَّة القائمة؛ لأن العناد والمكابرة قد يدفعان أحيانا إلى إنكارها كما فعلتْ قريش مع محمد ﷺ على الرغم من معايشته ومشاهدته والشهادة له بأنه الصادق الأمين، الأمر الذي يعني أن الإيمان والتصديق القلبي لا يقتصر فقط على طريق المعرفة الحسية، وإنما قد يكفي بعض الناس ورود الأخبار الصادقة المنقولة إلينا بالتواتر كي يصدقوا ويؤمنوا ولعل إيمان الصديق أبو بكر بمحمد كان من هذا القبيل، وليس أدل على ذلك من قوله لقريش عن حادثة الإسراء والمعراج التي نقلتها قريش إليه أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سُمِّي أبو بكر الصديق. [٢١٨]

فهذا الإيمان القلبي مبناه الثقة والاطمئنان- إن صح الخبر- المنسوب إلى النبي محمدﷺ، وذلك للمكانة الكبيرة التي قد تذوب لها القلوب، ولما كان حبُّ النبي من الإيمان علَّم محمدﷺ عمر رضى الله عنه أن إيمانه لن يكتمل بعد، قال للنبيﷺ: لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال لهﷺ: "لا، والذي نفسي بيده حتَّى أكون أحب إليك من نفسك" [٢١٩] ونظرا لشدة حب النبي شبه بعض الناس الزائر الذي

له مكانه في القلب بالنبي، كما يقولون في المثل: **(اِحْنَا زَارنَا النَّبِي)** مبالغة منهم في الحفاوَّة والإكرام للضيف الذي أوصى بإكرامه الرسولﷺ، وجعل ذلك من الإيمان بالله واليوم الآخر على الرغم من أن مقام النبوة أعلى قدراً وأجلّ شأناً من استعماله مع غيره، لا سيما بعد انتهاء عصر النبوة وختمها بمحمدﷺ فالنبي يزار ولا يزور. ومع ذلك فحبُّ النبي له مكانة كبيرة في قلوب العوام تصل إلى البكاء عند ذكرهﷺ ، ويظهر ذلك بوضوح لدى أتباع الطرق الصوفية وإن لم يصاحب ذلك إتباع سنته أو العمل بها وقد عبر المثل عن ذلك في قولهم: **(ذَكَرُوا النَّبِي بَكُوْا قَال اِسْمَعُوا اِيش قَال)**[٢٢٠] وبناءً عليه فمحبة النبي تقتضي المتابعة والعمل كما يطيع المحب محبوبه في أقوله وأفعاله، والله تعالى قد جعل محبته في إتباع رسولهﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، وبعض الناس يقولون على سبيل التفاؤل بالنور في الصباح وطلب البركة: **(نِهَارْنَا زَيّ الصَّلاة عَلَى النَّبِي)** أي نهارنا ساطع بالنور، والنبي نور، كما قال الله: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ١٥﴾ [المائدة: ١٥] والصلاة عليه بذكر النور، ولعل قول الناس في رد التحية: "صباح النور" له صلة بنور النبوة، وهذا النور هو ما وصف به أنس بن مالك محمداً ﷺ حينما دخل المدينة حيث قال: "لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء" [٢٢١]. وقد جرت عادة بعض الناس في استهلالهم للبيع أو الشراء بذكر النبي صلوات ربي وسلامه عليه، فإذا لم يتم البيع ولم يكسب البائع شيئا قال العبارة الآتية: **(كِسِبْنَا الصَّلاة عَلَى النَّبِي)** والمجازاة عليها تتوقف على نِيَّة قائلها إن قالها سخرية أو حقيقة. ويقولون في الأمر العظيم كلمة جرتْ مجرى المثل **(مَا لِهَا إِلاَّ النَّبِي)**.

وفي مقابل الصديقين بالنبوات نجد غير المتبعين من المكذبين الذين لا يقيمون وزنًا لما أتي به الأنبياء وما كان عليه سلفنا الصالح فهم لا يفرقون بين الحلال والحرام بل يبيعون دينهم بعرض من الدنيا كما شاع المثل القائل: **(نَاس بِتَاكُل مَال النَّبِي وبِتْغَمِس بالصَّحَابة)** أي أنَّهم على درجة كبيرة من قلَّة الدين، ولا يتورعون عن أكل مال أي شخص يتعاملون معه.(٢٢٢) وربما كان من هؤلاء الناس الأشرار مَن إذا وجدوا فرصة جديدة يكسبون فيها مكسبًا طفيفًا يبيعون الأصدقاء القدامي بالأصدقاء الجدد فهم كما ورد في المثل **(أَبْيَع مِنْ أُخْوَة يُوْسُف)** (٢٢٣) وفي ذلك إشارة إلى ما فعله إخوة يوسف معه كما ورد في قصته في القرآن حيث باعه إخوته بثمنٍ بخس دراهم معدودة كما قال الله تعالى عن فعلتهم: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، على الرغم أن من هؤلاء الناس من يحبون المال حبًّا جمًّا بحيث أحلوه محل الدين والأخوة الصادقة إذا مع تعارض ذلك مع مصالحهم المادية بحيث أصبح الجنيه هو الإله والريال هو النبي فهم يعبدون المال فقط من دون الله وفقا للمثل الذي يقول: **(إِلَهْهُم الجِنِّيْه ونَبِيُّهُم الرِّيَال)** ويضرب لمن يتهالكون على ذات اليد (٢٢٤) دون اعتبار للدين الحق عند هولاء المفتونين فتعسًا لهم وأضل أعمالهم كما قال النبي:ﷺ "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن منع سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش".(٢٢٥) وثلة أخرى من هؤلاء ظالمي أنفسهم قد تسوِّغ لهم أنفسهم الإمارة بتقديم هدايا مقابل مصالح خاصة ويربطونها بقبول النبي للهدية وعدم قبوله الصدقة بقولهم في المثل الذائع: **(النَّبِي قَبَل الْهِدِيَّة)** وذلك ما يقوله من يهدي هدية لآخر فإذا حاول رفضها وعدم قبولها يقنعه بأخذها باعتبار أن النبي قبل الهدية (٢٢٦)

وعلى الرغم من سوء طوية هذه الفئة الضالة فإنه قد يبدوا عليها مظاهر الورع والخشية، وهم في باطنهم يعبدون الدرهم والدينار ولا يظهر ذلك إلا بالمعاملة معهم وآنذاك يمكن أن يصدق عليهم المثل القائل: **(اللِّي تِحْسِبُه مُوْسَى يِطْلَع**

فِرْعُوْن) ويضرب لرجل يرجع بظنِّك من الحسن إلى السيء [٢٢٧] حيث إن فرعون كان مثالًا للقسوة والتَّجبر بينما كان موسى النبي مثالا للوداعة والصلاح، وهنا يضرب المثل على الشخص الذي يخدع الناس بمظهره فيظنونه مثل موسى في وداعته وحلمه ولكنهم بالخبرة والمعاملة يجدونه مثل فرعون في بطشه وقسوته، وهكذا يخيب ظنهم فيه، وعلى الإنسان أن يختار بإرادته بين هذين الأمرين؛ لأن الأمر قد يكون محصورا كما جاء في المثل القائل: **(مَنْ لَا يِرْضَى بِحُكْم مُوْسَى رِضِي بِحُكْم فِرْعُوْن)** [٢٢٨] دون أن يستذل نفسه للفرعون الذي استخف قومه فأطاعوه كما أورد القرآن عنه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف:٥٤] فإن كان المصريون يرفضون حكم المماليك لهم لشدة ظلمهم فإنهم قد رضوا بحكم محمد على باشا (١٧٦٩- ت١٨٤٩م) على الرغم من أنه كان أشد بطشًا باتِّبَاعه أساليب فرعونية، كما ورد في المثل **(اللِّي مَا بِيِجِيّ بِعَصَى مُوسَى بِيِجِيّ بِعَصَى فِرْعُوْن)** [٢٢٩] يعني الذي لم يستجب طوعًا واقتناعًا بمعجزة موسى في العصا يستجيب كرهًا بعصا الملك والسلطان.

ومن الضَّروري بيان أن الأنبياء معصومون عن الخطأ، بل يتصفون بكل صفات الكمال الباطني والظاهري، ومن ثم فلا يليق بأحد أن يجمع بين الضدين؛ لأن ذلك إن كان صادقًا على بعض الناس فإنه يستحيل في حقِّ الأنبياء والرسل.

٥- عدم التفرقة بين الرسل

على الرغم من اختلاف الشرائع بين الرّسل كما ورد في المثل **(عِيْسَى فَارِق مُوْسَى)** فإنهم جميعًا دعوا إلى عبادة الله الواحد، ومن ثم فإن الإيمان بالرسل جميعا واجبٌ دون تفرقة بينهم كما قال تعالى: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ومن ثم فالإيمان بهم واجب لأنهم أخوة من

علات كما ذكر في الحديث: "أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء عَلاَّت، وليس بيني وبين عيسى نبيٌّ" (٢٣٠) ولا يجب التفرقة بين أحد منهم، فكلُّهم رسل الله الذين بعثهم تترى مبشرين ومنذرين فلم تخلُ منهم أمة من الأمم كما ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، ولذلك يجب على أتباعهم احترام الأنبياء حتى وإن تعددت شرائعهم لأنهم قد صدروا عن مشكاة واحدة فليس الأمر إذن محلا للنزاع أو الازدراء، ولذلك شاع بين بعض العوام ما يعبر عن اختلاف الديانة مع احترام النبوة والدين بقولهم في المثل: **(عِيْسَى نَبِيّ، ومُوْسَى نَبِي، ومِحَمَّد نَبِيّ، وكُلّ مِنْ لِه نَبِيّ يِصَلِّي عَلَيه)** ويضرب المثل في التوافق والتعايش والتسامح بين أصحاب الديانات المختلفة، ومن ثم نعطي الأنبياء حقهم في العصمة وبقية ما لهم من حقوق دون إنكار على أحد من رسله.

٦-مدعو النبوة:

وقد عرضت الأمثال العامية للمتنبئين الكاذبين حتى ضرب المثل بمسيلمة الذي ادَّعى النبوَّة في زمن النبي محمد ﷺ وتبعه كثيرون من قومه بني حنيفة، واتضح كذبه عليهم إذ قالوا في المثل: **(أَكْذَب مِنْ مُسَيْلِمَة)** (٢٣١) وضرب المثل كذلك بسجاح بنت الحارث التميمية التي تزوجتْ منه بعد أن ادَّعت النبوة هي الأخرى فقالوا: **(أَكْذَب مِنْ سَجَاح)** فصارا مثلين لكل كذَّاب أثيم.

□المبحث الثالث: الأمثال العامية في السمعيات:

السمعيات هي الأمور المتعقلة بالآخرة مما لا يستقل العقل بإدراكه، أي أن إدراك العقل له يكون عن طريق ثبوت نص صحيح منقول من الكتاب أو السنة ووصل إلينا سماعاً من الصادق محمد ﷺ عن أمين الوحي جبريل -عليه السلام-عن ربِّ العزة سبحانه وتعالى، وذلك مثل عالم الملائكة والجن واليوم الآخر، فهذه الأمور الثلاثة تشترك في كونها عوالم غيبية محجوبة عن الإنسان، فلا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي الإلهي؛ ولذلك فهي بلا شك محل عجب واندهاش العقل الإنساني كما ورد في المثل القائل: **(اللِّي فِ الْغِيْب عَجَب)**، أما إذا كان الغيب مكشوفا لحواس الإنسان فلن يعجب منه؛ لأنه سيكون حينئذ معتادا عليه؛ ولذلك فإن الغيب يحتاج إلى الإيمان والتصديق به؛ لأنه في علم الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، فإذا ما كشف الغطاء في الآخرة واطلع عليه الإنسان بعد غفلته فلن يعجب وفقا لمنطق المثل **(إِذَا عُرِفَ السَّبَب بَطُلَ الْعَجَب)** وكما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] ويتضمن قسمُ السمعيات ركنين من أركان الإيمان، وهما: الإيمان بالملائكة والجن والإيمان باليوم الآخر نعرض لهما على النحو الآتي:

أولا- الإيمان بالملائكة:

الملائكة عالم غيبي مخلوق من نور، لهم صفات خَلْقِيَّة وخُلُقِيَّة تخصهم، فلا يتصفون بأنهم ذكور أو إناث، ولا يتناسلون، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، هذه الصورة التي وصلت إلينا سماعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى الرغم من أنهم عالم غيبي يرمز إلى الخير والنور، فإن الأمثال الشعبية حاولت تقريبه تشبيها له في صفاته لا ذاته، فقالوا مثلا في وصف الحموات في أحسن أحوالها بالعمى وما يلزم عنه من ظلمة: **(الْحَمَا عَمَا وَلَوْ كَانِتْ**

مَلَاك) فالملائكة مخلوقون من نور والمفارقة هنا تكمن في إجابة السؤال الآتي ماذا يجدي النور (الملائكي الغبيبي) مع الحما أو العمى؟ ولا ريب أن هذا المثل بالطبع فيه قسوة ومبالغة وتحيز ضد المرأة بصفة عامة، ولكنه قد يصدق على بعض الحموات اللائي يتدخلن بإفساد العلاقة بين الزوج وابنتها أو بين ابنها وزجته.

ومن المعلوم أن الملائكة لا يغفلون عن طاعة الله وعبادته وأداء حقه وواجبه عليهم، ولكننا إذا تأملنا الأمثال العامية سنجد صورة حسية منافية؛ يُضرب بها المثل للمبالغة في غفلة بعض الناس عن الواجب وخصوصا بالنوم حيث قالوا في المثل: **(فِلَان بِيَاكُل رُزْ مَعَ الْمَلايْكَة)** ويقصد به أنه نائم نوماً عميقًا على الرغم من أنه مثال يخالف تماما المعتقد الصحيح؛ فالملائكة عبادٌ مكرمون لا يأكلون ولا يشربون، وقد ذكر القرآن ذلك عن الملائكة حينما نزلوا ضيوفا على إبراهيم وبشروه بإسحاق، إذ قدَّم لهم الطعام الشَّهي فلم يأكلوا منه، فخشي منهم مع أنهم متمثلين في صورة بشرية؛ لأنه من عادة العرب أن يأكلوا من الطعام الذي يقدم إليهم، وإن لم يأكلوا منه فهذا يعني أنهم يضمرون شرا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ٢٥ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ٢٦ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨]، ومن صفات الملائكة أيضا أنهم لا يفترون حتى يناموا بل يعملون دائبين على طاعة الله وفق ما كلفوا به من وظائف وأعمال وربما أشار مثلٌ آخر إلى صحة هذا المعنى حيث ورد في المثل قولهم: **(كُلّ سَاعَة وِلِهَا مَلايْكَه)** أي أن كل وقت له أعماله ووظائفه وظروفه فإذا لم توفق في وقت معين فلا تيأس أو تفتر همتك أو عزيمتك وحاول مرة أخرى عسى أن تحصل على ما تريد(٢٣٢). ولعل هذا المثل الأخير يشير إلى وظائف وأعمال الملائكة المتعاقبة ومعنى حديث الرسولﷺ: "يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر..." (٢٣٣)

ويعتقد كثير من العوام أن العين المبصرة تحرسها الملائكة كما ورد في المثل **(الْعِيْن عَلِيْهَا حَارِس)** أي أن هناك ملكًا يحرسها استنادًا على بعض الحوداث والوقائع التي سلمتْ فيها العين من الإصابة، وليس هناك دليل صريح من القرآن أو السنة يؤكد على حفظ العين على وجه الخصوص، وإنْ كانت تندرج تحت حفظ الإنسان عامة، وهو ضمن أعمال الملائكة ووظائفهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] وهما ملكان موكلان بتسجيل أعمال الإنسان، أحدهما عن اليمن يكتب الحسنات والآخر عن اليسار يكتب السيئات، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق١٧: ١٨] ، ومن حفظ الله لعبده حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وأهله وماله قال الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه، وقال على رضي الله عنه: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه.(٢٣٤)

قد استقر في الوجدان الشعبي أنه لا يمكن أن تجتمع الملائكة بأعمالهما الصالحة مع الشياطين من الإنس، ويشير إلى ذلك المعنى المثل القائل: **(إِذَا حَضَرِتْ الْمَلائِكَة غَابَتْ الشَّيَاطِيْن)** أي لا يجتمع الصالح والطالح.(٢٣٥) كما لا يجتمع الملائكة رمز الخير مع الشيطان رمز الشر والفساد في وقت واحد، فكأن حضور الخير وأهله ينفي أو يطرد الشر وأهله حيث يشير المثل إلى صفات الملائكة الخُلُقية التي تمثل الأعمال الصالحة لبعض الناس الذين ارتقوا بأنفسهم وأفعالهم درجات في النقاء والصفاء سمحت للناس بأن يشبهوهم بالملائكة على الرغم من كون الملائكة من عالم الغبيبات، وجريان الخير من الصالحين يسحق ويمحق الخصال السئية التي اجتمعت في أوصاف الشياطين وأفعالهم سواء كانوا من الإنس أو الجن. وهذا يدعونا إلى تناول الأمثال الخاصة بالجن والشياطين.

ثانيا- الإيمان الجن:

لو تأملنا الجذر اللغوي لكلمة جن نجد أن هذين الحرفين وما يشتق منهما كالجنين والجنون والجنة يجمعان كل معاني الستر والاختفاء، فالجن عالم غيبي خلقه الله من نار، محجوب عن عالم الإنس فلا نراه ويرانا، فهو كما نقل إلينا سماعا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧] والشياطين يتناسلون ولهم ذريه كما قال الله تعالى مستنكرا على العصاة: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] والشياطين هم مردة الجن، فالجن منهم المؤمن والكافر، والشياطين كفروا، وقد وردت في سورة كاملة تتحدث عنهم وعن أوصافهم، وهي سورة الجن، ومن ثم يجب الإيمان الجازم بوجودهم كما أخبر الله عنهم في كتابه.

للجن مراتب ذكرها الجاحظ في قوله: "فإذا ذكروا الجنّيّ سالما قالوا: جني. فإذا أرادوا أنّه ممن سكن مع النّاس قالوا: عامر، والجميع عمّار. وإن كان ممن يعرض للصبيان فهم أرواح. فإن خبث أحدهم وتعرّم فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد. قال الله عز ذكره: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٧] فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عفريت، والجميع عفاريت. قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] (٢٣٦)، وعلى الرغم من أن عالم الجن أقرب شبهاً بعالم الإنس، بل يعيشون معهم أحيانا كعمار البيوت فأكثر الناس يخشون منهم، ولعل ذلك كان سببا في احتفاء الأمثال العامية بالجن والعفاريت، فصارت مضرب المثل كما ورد في قولهم: **(اللِّي يخَاف مِنْ الْعَفْرِيْت بِيطْلْعْلُه)** فالعفريت جني زاد في خُبْثه، وشدة الخوف منه تجعل الإنسان يتوهم أنه رأى عفريتا على الرغم من أننا لا نراهم أبدا إلا إذا تمثل في صورة أخرى، ومن زعم أنه رأى عفريتا فقد كذَب على الله كما ذكرت آية سورة الأعراف ٢٧، وقد تدفع شدة الخوف بعض العوام إلى طلب الإذن والسماح منهم إذا نزلوا منزلا مُوحشاً أو في مكان مظلم

فيقولون في المثل: **(دُسْتُور يَا أَسْيّادنَا)** [٢٣٧]، وهذا خطأ؛ لأنهم ليسوا أسيادا للبشر، ولأن الرسولﷺ أخبرنا بقوله: "من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك" [٢٣٨] ونظرا للمبالغة في دقة بعض الناس في وصف معرفتهم بالخبايا جرى استعمال المثل القائل: **(يعْرَف الْعَفْرِيْت مِخَبِّي ابْنُه فِيْن)** [٢٣٩] وكأنه يعلم الغيب، وهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿عَالِمُ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، ومعلوم أنها تعيش في الأماكن الخربة والحشوش المحتضرة وأعالى البحار على العكس من عالم الإنس، ومع ذلك سار مثل عن الإنسان الذي لديه قدرة أو علاقات واسعة مع نوعيات سيئة من البشر: **(لِهْ فِي كُلّ خَرَابَة عَفْرِيْت)** والخرابة هي المكان المهجور الذي يسكنه الجن. وعالم الجن يتمتع بقوى خارقة كما ورد عنهم في القرآن الكريم في قصة نبي الله سليمان الذي سخر الله له عالم الجن معجزة له: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] إذ قالوا في المثل عن الشخص الذي ينشط ولا يرتاح في فترة الظهيرة: **(زَيّ عَفْرِيْت الْقَيَّالَه مَا يَنْهَدِش)** وكأن الذي يعمل في فترة القيلولة لديه قدرة خارقة على تحمل الحرارة الشديدة التي خُلق منها الجن كما قال الله عنها: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، و"التصور العاميّ عن العفريت أنه كثير الحركة، سريع التنقل من مكان إلى آخر بصورة تخرج عن تصورات الإنسان لذلك يشبهون الإنسان شديد النشاط والحركة والدهاء بقولهم: **(مَعْجُوْن بِمَيِّة عَفَارِيْت)**"[٢٤٠]، ولذلك وصف الإنسان الذي لديه قدرات أو مهارات خاصة بأنه عِفْرِيْت على سبيل التشبيه البليغ فقالوا في المثل: **(مَا عَفْرِيْت إِلَّا بَنِي آدَم)** إيمانًا منهم بأننا لا نراهم على الإطلاق إلا تمثلا، وكأن وجوده لدى الإنسان العامي بات متوهماً لا وجوداً حقيقيًّا لكن ليس على سبيل التلبس بالإنس كما يدَّعي الزواجَ بهم بعضُ المشعوذين[٢٤١]، وقد عبر عن ذلك في التعبيرات الشائعة كناية عن غضب بعض الناس غضبا شديدا، وحينذاك يقولون: (فلان راكبه عفريت) أو (ميت عفريت) أو (فلانة راكبها عفريت).

ثالثا- إبليس والشياطين:

الشطن في اللغة هو الخروج، والشياطين نوع من الجن، بل هم مردة الجن والعصاة منهم الذين عصوا أمر الله، وذلك ما فعله إبليس أبو الجن أو كبير الشياطين كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] وإبليس لفظ أعجمي مشتق من الإبلاس ومعناه اليأس والقنوط من رحمة الله، حيث إنه امتنع عن السجود لآدم عصيانا لأمر الله فطُرِدَ من رحمة الله إلى يوم القيامة واستحكمت عداوته للإنس إلى يوم القيامة كما ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] وهذا يفسر لنا ما ورد في الأمثال العامية من ارتباط الشيطان بالشر حيث إن الصورة الذهنية للشيطان في الخيال الشعبي ترمز إلى الشر والقبح حيث عبرتْ عنه أمثلة شعبية مختلفة بصورة تكشف عن أفعال الشر التي يُوحي بها إلى أوليائه، وإن كانت تعبر عن شياطين الإنس أكثر من تعبيرها عن شياطن الجن، ولا يخفى- في الوقت نفسه- ما بينهما من صلة وتعاون؛ إذ يوحي بعضهم إلى بعض كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ولا يعني ذلك أن شياطين الجن غير موجودين حيث أوضح المثل أن كل إنسان له شيطانه الذي يغويه من الجن **(كُلّ وَاحِد لِه شِيطَان)**[٢٤٢] ولعل هذا المثل يشير إلى القرين، فكل إنسان له قرينه من الجن كما أخبر الرسول ﷺ: "ما منكم من أحد، إلا وقد وُكِلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ يا رسول الله قال: وإيَّايَّ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير" [٢٤٣]، فعمل الشيطان الوسوسة في نفوس الناس، وحينذاك يجب الاستعاذة منه لصرفه كما قال الله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٦] ، على الرغم من أن إبليس وذريته ضعفاء كما ورد في المثل: **(بَاب**

مَرْدُوْد عَن شَيْطَان مَهْدُوْد) وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، حيث تعوقه الأبواب المغلقة كما يعتقدون، ولا تأثير له على المؤمنين على الإطلاق **(أَلْف دَعْوَة مِن إِبْلِيْس مَا تِحْرَق وَلَا قَمِيْص)** يريد أن الأقدار تجري على أذلالها وأن الإنسان لن يستطيع أن يقودها إلى مبتغاه(٢٤٤) ولا سيما أن إبليس ليس له سلطان على ابن آدم إلا الوسوسة الخفية له بالأماني الكاذبة، وذلك ما سيعترف به الشيطان نفسه في الآخرة كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وفي مقابل هذه الصورة نجد صورة أخرى مغايرة لإبليس وأتباعه من شياطين الإنس والجن حيث إن لهم تأثيراً كبيراً على بعض الناس كما يظهر ذلك من أفعالهم التي يقومون بها حتى ولو كانوا على علم بمكايده وأحابيله فالأمر كما قال المثل: **(النَّص نَصْ عُلَمَا وِالْفِعْل فِعْل شَيَاطِيْن)** ولذلك فإنهم في عدم التزامهم بما لديهم من علمٍ يشبهون إبليس نفسه بل إن من الناس من يكون أكثر دهاء وخبثا منه بحيث يتعلم إبليس منه **(إِبْلِيْس بِيِتْعَلِّم مِنُه)** و **(إِبْلِيْس حِتَّه مِنه)** فلا يميزون بينهما من شدة الخبث كما قال مثل آخر: **(زَيّ إِبْلِيْس مَا يِعْرَف الجُّمْعَة مِنْ الْخَمِيْس)** فعلى الرغم من أن إبليس كان أكثر أهل الجِنَّة عبادةً لله تعالى حتى ظُنَّ به أنَّه من الملائكة من كثرة عبادته فإنه عصى الأمر الإلهي مع علمه التَّام، فأمره كما ورد المثل بوضوح: **(إِبْلِيْس يِعْرَف رَبُّه لَكِنُّه يِتْخَابِث)** (٢٤٥) أي أنّه على الرغم من علمه بالحق فإنه يعدل عنه كما أن إبليس لم يسجد لآدم كما أمره ربه؛ حيث منعه الكبر من التمييز بين السجود لله والسجود لغيره طاعة لله. ولا يكتفي إبليس وأعوانه بالوسوسة بل قد يدفع أتباعه إلى التعجيل بالمعاصي والذنوب فإذا كانت الحروب والمشاحنات

قائمة بالفعل يزيد من أوارها كما شاع في المثل **(إِذَا دَخَل إِبْلِيْس حَمِيَ الْوَطَيْس)**[٢٤٦] وغالبا ما يكون المقصود هو إبليس الإنسان الذي يوقع العداوة والبغضاء بين الناس.

وميَّز المثل الشعبي بين حال الفرد وحده بأنه أقرب إلى وساوس الشياطين منه إذا كان في جماعة، وما دام **(كُلّ وَاحِد وِلِه شِيطَان)** كما ذكرنا من قبل فإنه قد يستأثر بالفرد عند بعض أتباعه بحيث تتضخم الأنا لديه كبرا وغرورا كما ورد في المثل **(إِبْلِيْس سَمَّى نَفْسُه أنا)** وذلك لأن إبليس وذريته يأتون الفرد فرحين من جهاته المختلفة **(حَبْلِهَا عَلَى غَارِبْها وإِبْلِيس طَار بِها)** ويزاد الأمر سوءا إذا كان هذا الفرد وحده وليس لديه شيخ كما اشتهر بين الصوفية **(اللِّي مَالُوْش شِيْخ شِيْخُه الشِّيطَان)**[٢٤٧] أو ما يشغله من عمل نافع أو يتكاسل عن عمله فهنالك سيكون رأسه كما ورد في المثل بيت للوساوس الشيطانية الهدامة **(رَاس الكَسْلان بِيْتَ الشِّيطان)** لأن النفس الإنسانية إذا لم يشغلها الإنسان بالحق شغلته بالباطل، ومن ثم يصعب عليه التوبة والرجوع إلى الله إن أرد فأمره كما قال المثل: **(كُلّ مَا أَقُوْل: يَا رَبِّ تُوْبَة، يُقُوْل الشِّيطَان: بَسْ النُّوْبَه)** فالشيطان يستأثر بصاحبه في وحدته ويدعوه إلى التسويف وتأخير التوبة [٢٤٨]، بل قد يقنط الإنسان من رحمة الله لاسيما إذا كان في أواخر العمر، ويكون حاله كما قال المثل: **(مَا بَقَاش فِي الْعُمْر مَا يِسْتَاهِل التُّوْبَة)** لأنَّ الرِّجُوع إلى الله لا يتطلب سنًّا معينة، لكن الشيطان يدفعه إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، وهذا بخلاف قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] أما إذا كان الإنسان في إطار إجتماعي صالح متحاب فهذا يصعب مهمة الشيطان على نفس الإنسان الإمارة بالسوء، ولعل ذلك يشير إلى المثل **(مَا غَرِيْب إِلَّا الشِّيطان)**؛ لأن هناك اتفاق على رد هذا الغريب صاحب المكائد الذي يجب الاستعاذة منه بذكر الله وليس كما ورد في المثل **(خَمْسَة فِي عِين الشِّيطان)** في محاولة لصرف حسد الحاسد بإشارة التخميس في الوجه.

والعجيب أن اتباع إبليس وأعوانه له تأثير اقتصادي على أصحابه من شياطين الإنس والجن حيث وردت أمثال تدعو إلى الإسراف والتبذير **(اِصْرِفْ مَا فِي الجِّيْب يَأتِيْك مَا فِي الْغِيْب)** [٢٤٩]؛ وإنفاق كل ما في حوزة الإنسان من مال يعد إسرافا؛ لأنه تجاوز حد الاعتدال الذي وصف به عباده في قوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] فإن كان صرف المال على حاجته زائدا على ما ينبغي سمى إسرافا، وإن كان صرفه فيما لا ينبغي أصلا سمى تبذيرا؛ وذلك قد نهى الله تعالى عنه أيضا بقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧] بل ذكروا في المثل **(خُبْز الشِّيطَان مَا يشبَعْش)** لأنه يمنِّي النفس والأحلام والشهوات التي لا تشبع أتباعه فعلي الرغم من جمعهم المال بخسة فإنهم ينفقونه- وفقا لوساوسه - على الخسة أيضا **(مَال الْخَسِيْس يُرُوْح بِمَوَازِيْن إِبْلِيْس)** ومثله **(اللِّي يِجِي بَلَاش يُرُوح بَلَاش)** فهو من حرام إلى حرام. ونظرا لأنهم لا يذكرون اسم الله على طعامهم فالشيطان هو الذي يأكل معهم كما أخبرنا الرسولﷺ: "المؤمن يأكل في معًي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"[٢٥٠] وكذلك حينما يدخل الإنسان بيته ولا يذكر الله عند دخوله أو طعامه فيقول الشيطان: "أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء"[٢٥١]، وبذلك يكون إبليس مخربا للبيوت أما بيته هو فيحافظ عليه كما ورد في المثل **(إِبْلِيْس مَيِخْرِبْش بِيْتُه)** فالإنسان الماكر الخبيث يجيد الوقيعة والخيانة وفتنة غيره، ومن ثم أصبح اختصاصي في خراب بيوت المؤمنين لا بيته هو. وبناء على هذه الأعمال الشريرة التي يرتكبها هذا الإبليس سواء من الإنس أو الجن فلا ينبغي أن يكون لديه طموح أو أمل في دخول الجنة على الإطلاق، ولذلك فمن يفعل الشر من شياطين الإنس متوهماً أنه سيدخل الجنة برحمة الله فإنه واهمٌ لا محالة- لأنه سيكون كما قال المثل: **(عَشَمُه عَشَمْ إِبْلِيْس فِي الجَّنَّة)**.

وقد استخدم بعض العوامّ عبارات في لعن الشيطان والدعاء عليه مثل: **(أَخْزَى الله الشِّيطَان)، و (الله يخْزِيك يَا شِيطَان)** والصواب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فعن أبي المَليح عن أبيه قال: كنت رِدْف رسول الله ﷺ فعثر بعيرُنا، فقلتُ: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: "لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب" (٢٥٢) فَلَعْن الشيطان يُفْرحُه؛ لأنه ملعونٌ ابتداءً، ويقول: عَلِمَ ابن آدم أنِّي قد نلته بقوتي، وذلك مما يعينه على إغوائه ولا يفيده شيئا، فأرشد النبي ﷺ مَنْ مَسَّه شيء من الشيطان أن يذكر الله تعالى ويذكر اسمه ويستعيذ بالله منه فإن ذلك أنفع له وأغيظ للشيطان.(٢٥٣)

رابعا: الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة، وهو آخر لأنه لا يوم بعده، والإيمان به يعني التصديق الجازم بإتيانه وما يقع فيه للخلائق من أحداث ومنازل تنتهي بهم إما إلى دار النعيم أو العذاب المقيم. وقد تعرضت الأمثال العامية لبعض منازل اليوم الآخر، بدءا من الموت الذي يعقبه حياة القبر أو الحياة البرزخية التي تنتهي بأهوال يوم القيامة ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقد أدرك الحس الشعبي أن القيامة تقوم عند موت الإنسان بالفعل فمن مات قامت قيامته، وليس المقصود هنا القيامة كموضوع كونيّ عام، فالْقِيَامَةُ قِيَامَتَانِ: صُغْرَى وَكُبْرَى، الصُّغْرَى مَا تَقُومُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ فِي خَاصَّتِهِ مِنْ خُرُوجِ رُوحِهِ وَانْقِطَاعِ سَعْيِهِ وَحُصُولِهِ عَلَى عَمَلِهِ، وَالْكُبْرَى هِيَ الَّتِي تَعُمُّ النَّاسَ وَتَأْخُذُهُمْ أَخْذَةً وَاحِدَةً (٢٥٤)، وقد ورد المعنى في المثل على لسان جحا **(قَالُوا: يَا جُحَا امْتَى تُقُوم الْقِيَامَة؟ قَال: لَمَّا أَمُوتْ أَنَا)** (٢٥٥) وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ «قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ، فَنَظَرَ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: "إِنْ يَعِشْ هَذَا حَتَّى يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ

الشَّاعرُ[٢٥٦]:

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَامَــتْ قِيَــامَتِي غَدَاةَ أَقَــلَّ الْحَــامِلُونَ جِنَــازَتِي
وَعَجَّلَ أَهْلِي حَفْرَ قَبْرِي وَصَــيَّرُوا خُرُوجِي وَتَعْجِيلِي إِلَيْــهِ كَرَامَتِــي

وهذا المثل السابق يتّسق مع الأثر القائل "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهــوا"[٢٥٧] فالموت هو الذي يوقظ الإنسان من الغفلة عن القيامة الكبرى، ومن ثم فهــو القيامــة الصغرى إن جاز التعبير، وعندما يموت الإنسان فينتبه ويندم بعد أن يدخل القبــر أو كما يقولون: **(ذَهَبَ إِلى مَثْوَاه الأَخَيْــر)** أي القبر، مع أن هذا المثل غير صحيح؛ لأن القبر هو أول منزل من منازل اليوم الآخر، والمثوى الأخير هو دخــول الجنــة أو النار[٢٥٨]، وكان الحسّ الشعبي يرى أن المخترعات الحديثة وغيرها مــن العجائــب التي لم تخطر على البال من علامات قرب قيام الساعة لاسيما لدى العوامّ من كبــار المسنين حيث قالوا: **(عَلامَة الْقِيامَة لَمَّا تَشْرَبْ منْ الْحِيْط وتشُوْف النُّور فِي الْخِيْط)** أي عندما يشرب الإنسان من الحنفية، ويضيء المصباح من خلال الــزر المتصــل بالكهرباء، فهذه من وجهة نظرهم من علامات قرب قيام الساعة، دون التفات إلــى علامات قيام الساعة الصغرى والكبرى الواردة في السنة النبوية، ويطيب لي هنا أن نعرض لتصورهم عن مراحل اليوم الآخر على النحو الآتي:

١- الموت والآجال:

من الحقائق الباقية على مرّ التاريخ منذ خلق الله الإنسان الموت، ولذلك شاع القول بأن: **(المَوْت حَق)** فهو متحقق في كل حيّ دونما استثناء؛ فكل نفــس تذوقــه حتمًا، وقد أكد المثل العاميّ على هذه الحقيقة في قولهم: **(الْمَوْت كَاس دَايــر وَكُــل النَّاس شَارِبُه)** على الرغم من اختلاف طبعائهم وأعراقهم وألسنتهم وأديانهم، فالموت في النهاية آية ساوى الله بها بين الناس أجميعن على الرغم من آيات اختلافهم في كل شيء [٢٥٩]، فالحال كما قال المثل: **(ربِّنا مَا سَاوَانَا إِلَّا بالْمُوْت)** [٢٦٠] فالناس مختلفون في كل شيء، ولكنهم يتفقون في المصير الواحد، وهو الموت **(كُلِّنَا فِي الْهَوا سَوَا)**،

وأوضح المثل أن الدنيا قصيرة جدا يومان فقط **(الدنيا يومان: يوم لك ويوم عليك)** ولكن بعض الناس يخشى من الموت ويكرهه [٢٦١] وعبرتْ الأمثال عن تشبث الإنسان بالحياة الدنيا في مقابل الموت حتى آخر لحظه، يقول المثل: **(يُوْم عَلَى الدُّنْيَا وَلَا سَنَة تَحْتِهَا)** وقولهم: **(أَقَل عِيْشَه أَحْسَن مِنْ الْمُوْت)** ويضرب المثل لكراهية الموت وتفضيلهم كل عيش عليه ولو كان مرا، ومثله قولهم في تفضيل الحياة على الموت: **(أَلف عِيْشَه بِكَدَر وَلَا نُوْمَه تَحْتْ الْحَجَر)** أي ولا نومه في القبر، يريدون الموت، ويتمادون في حب الحياة بمنح أنفسهم الحق على حساب الميت، في قولهم: **(الْحَيّ أَبْقَى مْن الْمَيِّتْ)** و **(إِحْيِينِي النِّهَارِدَة وَمَوْتِنِي بُكْرَه)** والمثل يضرب في التعويل على الحاضر وغض النظر عن غيره. [٢٦٢]

فالمميت اسم من أسماء الله الحسنى لا ينفك عنه سبحانه ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦] ويؤكدون في المثل أن الله وحده هو المميت بقولهم: **(مَا يَأْخُذ الرُّوْح إِلَّا اللِّي خَالِقْهَا)** فإذا كان هو الخالق المحيي فلا غرو أن الإماته فعله، ولذلك سار المثل: **(الأَسْعَار وَالأَعْمَار بِيَد الله)** [٢٦٣] ومن ثم فالآجال محدودة كما قال الخالق سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] ولما كانت الأعمار مقدرة بيد الله تعالى وحده والآجال محتومة لا ينقضها المشاقّ أو الحوادث أو الشدائد قبل نفادها جاءتْ الأمثال العامية مؤكدة لهذه الحقيقة دونما زيادة أو نقصان ولو يوم واحد حيث ورد في المثل قولهم عن الصغار: **(ابن يُومِيْن مَا يعيش تَلاته)** [٢٦٤] وقولهم عن الكبار باستعمال ألفاظ العقود المناسبة لسنهم: **(اللِّي عُمُره فِي السِّتِّيْن مَا يِمُوْت فِي الْخَمْسِيْن)**، حتى لو كانت حياته مزدحمة بالأحداث الصاخبة والحوادث المزعجة ما دام له عمر؛ ولذلك قالوا في المثل أن **(اللِّي لِه عُمْر مَا تِقْتِلُه شِدَّه)** [٢٦٥] فالأعمار والابتلاءات مقدرة سلفًا على الإنسان، حتى إن المنغصات الحياتيَّة لا تقصر العمر أو تقصفه كما شاع المثل **(حَاجَة تِقَصّر الْعُمْر)** وإن كنا نسلم بأن لها أثراً لا ينكر على الصحة النفسية والبدنية فإنها لا تؤثر على العمر المكتوب،

وعلى الرغم من ذلك فكم من أناسٍ عركتهم الحياة وعاشوا عمرهم المقدر رغم الشقاء والعناء، كما ورد في المثل: **(عُمْر الشَّقِي بَقِي)**، في حين أن آخرين صفتْ لهم الحياة وماتوا على أعمارهم المقدرة التي حسبها الإنسان قصيرة، وهذه سنة الله في الحياة، وليس معنى موت الإنسان أن الله تذكره كما يشاع في قولهم: **(ربنا افتكره)**؛ لأن الله تعالى لا يغفل ولا ينسى فهو كما قال عن ذاته سبحانه: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، في حين أن الإنسان ينسى أجله المحتوم، وعندما يقع الموت يتذكره الإنسان؛ فيقع الناس في نسبة النسيان إلى الله، وأولى بهم أن ألا يغفلوا عن الموت ويتذكروه لأنَّ الله – تعالى– لا يغفل عنها الله أبدا؛ وأنَّى ذلك وقد حددها سلفا مع لحظة الميلاد؟!. وقد حضت الأمثال العامية على ضرورة استعداد الإنسان للموت الذي قد يباغت الإنسان فجأة لا سيما ما سيحاسب عليه أولا وهو الصلاة **(جَالَك الْمُوْت يا تَارِك الصَّلاة)** كما أخبر الرسولﷺ: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته". (٢٦٦)

وبناء على ذلك الإيمان العميق بالآجال كان لذلك أثرٌ مباشر على حياة الإنسان حيث دعا مثلٌ آخر إلى ضرورة أخذ الأبناء بالحزم والشدة في تربيتهم دونما خشية من موتهم؛ لأن الموت لا يكون إلا بقدر الله، فقالوا في المثل: **(رَبِّي ابْنَك وَأَحْسِن أَدَبُه؛ مَا يَمُوْت إِلَّا لَمَّا يِخْلَصْ أَجَلُه)** ونظرا لأن الأجل مكتوب فقد شاع مثل يؤكد استحالة نقصان العمر: **(اِدِّيْنِي عُمْر؛ وارْمِيْنِي الْبَحر)** (٢٦٧) فمن المستحيل أن يموت الغريق إذا كان له عمر، ولذلك يجمل بالإنسان أن يكون جسورا غير هيَّاب في شيء من الحق حتّى لو كان في جوف المخاطر؛ لأن المثل العامي يقول: **(الْعُمْر وَاحِد؛ والرَّب وَاحِد)** فلو كتب الله لإنسان نهايته فلا مناص من وقوعها مهما حاول الفرار ألم يقل المثل العامي: **(فَرَّ مِنْ الْمَوْت؛ وَفِي الْمَوْت وَقَع)**؟ (٢٦٨) ولعله يعبر عن معنى الآية الكريمة التي قال الله فيها: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨]، ويلاحظ

على هذه الأمثال السابقة أنها تحض على فعل معين في الجملة الأولى (**رَبِّي ابْنَـك، اِدِّيْنِي عُمْر، فَرَّ مِنْ الْمَوْت..)** يقابلها جملة ثانية تتجانس معها في رد الفعل باعتقاد مستقر يحرض على الفعل بصيغة الأمر في أول المثل، وما دام الإنسان يعرف أن الدنيا فانية وليست باقية كما يقول المثل: **(الدُّنْيَا فَانِيّة واللِّي مِتْغَطِّي بِهَا عِرْيَان)** وهو معنى الآية الكريمة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، يلزمه أن يرضى بطبيعتها حتَّى يبارك الله في عمره أما إذا سخط وتبرم وطمع فيها فسينزع الله البركة من عمره **(فُضَّك مِنْ الزَّمَان الْمِتْلَفَّع بِه عِرْيَان)** ويُضرب للمغتر بالدنيا، مع العلم أنه سيخرج من الدنيا عارياً كما جاء إليها وإن ظن أنها غطاؤه الذي يستره لاسيما أن الله تعالى حذَّر منها (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥] [٢٦٩] ولذلك قالوا في المثل: **(دُنْيَا وآخِرتْها مُوْت)** وما دام أن الله قدَّر عُمُرَ الإنسان فله أن يرضى لأنَّ الله الذي أعطى وهو الذي يسترد وديعته ويُخْلِفُ على الصابرين، ولذلك يُقال في التَّسْرية عن ذوي المصائب: **(الله جَـاب الله خَدّ الله عَلِيْه الْعَوَض)** حيث يضرب المثل في تعزية من يفقد إنساناً أو شيئًا عزيزا عليه ليستسلم لقضاء الله حيث قال الشاعر [٢٧٠]:

وما المَالُ والأهْلُوْنَ إلا ودائـــع ولا بدَّ يومًا أنْ تُردَ الودائـــعُ

ومعنى المثل السابق يشير إلى حديث الرسولﷺ: "لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى" [٢٧١] وأن الله يخلف على عباده ويأجرهم خيرا إن صبروا، وربما ضرب المثل القائل: **(الله يِعَوَّض عَلِيْنا عَوَض الصَّابِرِيْن)** في الدعاء عند فقد الأشياء أو عند حلول المصائب [٢٧٢] مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وما يقوله الناس حال التعزية **(البَقِيَّة فِي حَيَاتِـك)** لمن توفي له قريب أو صديق، تعني أن الميت توفي قبل انتهاء أجله، فهو يدعو الله أن ينقل ما تبقى من السنوات من عمر الميت إلى عمر قريبه أو صديقه هذا، وهذا مثل خاطيء واعتقاد باطل، لأنه لا يموت أحد قبل انقضاء أجله، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقول الرسول لن تموت حتى تستكمل أجلها. (٢٧٣)

٢- الحساب

الحساب في اللغة معناه العدّ والإحصاء (٢٧٤)وفي الشرع معناه إطلاع الله عباده على أعمالهم يوم القيامة وإنباؤهم بما قدّموه من خير أو شر (٢٧٥)وهو اسم من أسماء يوم القيامة يعني الجزاء في الآخرة، وسمِّي يوم الحساب: لأنَّ البَّاري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم، من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه ثم يقابل بعضهم ببعض، والحساب منزل من منازل الآخرة يوقف الله فيه الناس قبل انصرافهم من أرض المحشر، ويتولى سبحانه الحساب بين خلقه يوم القيامة جزاءً بما كانوا يعملون في الدنيا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٦]، وإذا كان الحساب مؤكدا فيجب الإيمان بيوم الحساب دون مكابرة ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]، وشتان بين حساب دنيوي قد يتخلَّف عنه أو يغالط فيه المحاسب كما أشار إليه المثل: **(الحِسَاب يَوْم الْحِسَاب)** وحساب الآخرة الذي لا يتخلَّف أبداً ويتولاه الله بنفسه.

وأعلمنا الحق سبحانه أن الناس في يوم الحساب مراتب ودرجات أمام هذا الموقف العظيم: فمنهم من يناقش الحساب وفي ذلك ألوان من العذاب كما ورد في الحديث: "من نوقش الحساب عذب" (٢٧٦) ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا أو يخفف حسابه، وهؤلاء هم الذين تقللوا من الدنيا طلبا لخفة الحساب، فحالهم كما قال المثل: **(اللِّي مَا مَعَاهُوْش رَبِّنَا مَا يحَاسبُوش)** يضرب للمفلس رحمة بفقره وحاجته فلن يُسأل عن شيء له معه، وهناك صِنْف آخر يدخل الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب وهؤلاء هم المقربون، فهل يشبه ذلك معنى المثل الدنيوي: **(مَا بِيْن الْخَيِّرِيْن حِسَاب)**، وصنف ثالث يدخل النار بغير حساب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]. (٢٧٧)

٣- الجنة والنار:

الجنة والنار هما آخر منازل اليوم الآخر، ويبدآن ساعة دخول الإنسان القبر، فإما أن يرى نعيم القبر أو عذابه، فالجنة درجات للطائعين وعدها الله وأعدها لعباده المتقين ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] وهي مستقرهم الدائم﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا٦٣﴾ [مريم: ٦٣]، والنار دركات سعَّرت لأصحاب الجحيم من الكافرين والفسقة والشياطين ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، فـ (الجنة أو النار) هما دار القرار ولا مكان آخر غيرهما، وقد عبر المثل العاميّ عن هذا المعنى بضرورة قطع الإنسان للحيرة بين أمرين لا ثالث لهما بقولهم: **(يَا عَلَى الجَنَّة يَاعَلَى النَّار)** أي على الإنسان أن يختار أحد أمرين من أجل إنهاء الموضوع العالق بينهما.(٢٧٨) وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك مثلا يشير إلى طمع الإنسان وحيرته أمام نزعة الاستئثار بالأشياء حتى ولو جمع بين الضدين **(عِينُه فِي الجَنَّة وعِينُه فِي النَّار)** فالأمر في النار لا يحتمل أو يطاق من شدة هولها كما قال المثل **(مَا فِي جِهَنَّم مَرَاوِح)** جمع مروحة، وهي هواية تصنع من شظيات أوراق النخيل.(٢٧٩) فكما يكون المستقرّ في الآخرة هو إحدى الدارين فكذلك لا يجتمع في الدنيا النقيضان وعلى الإنسان أن يختار لنفسه.

على الرغم من أن الرسول قد بيَّن أنه لا مشابهة بين ما في الدنيا وما أعده الله في الجنة إلا الأسماء فإن الإنسان لم يتخل عن طبعه الاجتماعي فمهما بلغ المكان الذي يعيش فيه الإنسان من جمال وروعة فإن لم يجد فيه من يأنس إليه عاني الوحدة والوحشة حتى ولو كان في الجنة كما ورد في المثل العامي **(الجَنَّة مِنْ غِيْر نَاس مَا تِنْدَاس)** وعلى الرغم من أن هذا المثل غير صحيح بالنسبة للجنة التي أعدها الله للمتقين، لأن دخول الجنة سيكون في جماعات زمرا كما قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣] وفي هذا المثل مبالغة في الطابع الإنساني الدنيوي كما يقول علماء الاجتماع (الإنسان مدني بطبعه) وهو بالطبع مخالف لما أعده في الجنة من منازل ودرجات، وكل منزلة لها أهلها وقد صوَّر القرآن الجنة وما أعده

الله لعباده المتقين من تزويجهم بالحور العين﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] يجلسون معًا على سرر متقابلين دونما حقد أو حسد ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، ويخدمهم الولدان المخلدون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]، وغيرها من أوصاف أهل الجنة.(٢٨٠) مما يدل على عدم استيحاش الإنسان؛ لأنَّها هي مجمع السابقين واللاحقين من عباده الصالحين.

على الرغم من أن الله قد أخبر رسولنا الكريم عن المبشرين في الجنة أو أن فلانا من أهل الجنة فلا أحد يعلم من سيدخل الجنة أو النار، ولكن قد استقرّ في يقين العامة قولهم في المثل: **(النَّار متِحْرَقْش مُـؤْمِن)** فالنار هنا قد تكون نار الدنيا أو نار الآخرة، إذ قال الرسول ﷺ: "يخرج من النار من كان في قبله مثقال ذرة من إيمان"(٢٨١) ومن ثم فليس صحيحا المثل الزاعم بأنه إذا بدرتْ بعض الأعمال الصالحة من إنسان يَقضي له بعض الناس بأنه من أهل الجنة بقولهم: **(فُلان هَيِـدْخُل الجَنَّة حَدْف أو هَيِدْخُل الجَنَّة رَاكِب عَلَى صَارُوْخ)** لأن في ذلك تألِّيا على الله في أمر من أمور الغيب لا يعلمه إلا علام الغيوب وحده، وذلك يخالف ما ورد عن رسول الله ﷺ: "أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلانٍ، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غَفَرتُ لفلان، وأحبطتُ عملك" (٢٨٢) ولذلك هناك مثل آخر يتعارض مع المثل السابق وهو قولهم: **(انْتَ مِغَسِّل وِضَامِن جَنَّـة)** ويضرب المثل استنكارا للذين يعتزون بحماية ومساندة الذين لا يملكون أي تأثير أو سلطة فعلية(٢٨٣) فالأمر بيد الله وحده وليس بيد غيره. وهذا يتعارض مع المثل الأول **(هَيِدْخُل الْجَنَّة حَـدْف)** وذلك لأن الله لم يظهر على غيبه أحدا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]. وقد يكون مقبولا المثل القائل: **(الْقَلْب الأَبْيَض لِه الْجَنَّة)** و **(النَّفْس الْحُلْوَة لِهَا الجَنَّة)** ولعل النفس الحلوة هنا هي النفس المطمئنة التي قال الله عنها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] فسلامة القلب سبب من أسباب دخول الجنة.

خاتمة البحث:

في الختام اتضح أننا إزاء ثروة كبيرة من الترث الشفهي من الأمثال العاميَّة صنعه- في أغلبه - عوامّ الناس؛ ليعبر عن واقعهم الحياتيّ المختلف لاسيما وأنه قد صيغ بلهجةٍ سهلةٍ وواضحة غطتْ الموضوعات الكبرى للعقيدة الإسلامية، في مقابل التراث الكلاميّ الذي خلَّفه لنا ثُلَّة من المتكلمين الذين تأثر كثير منهم بأفكار الفلاسفة بغية الدفاع عن مسائل العقيدة؛ الأمر الذي زادها تعقيدا- ومن ثم كانت الأمثال الشعبية على العكس تماما على الرغم من أنها قد تكون استمدت منه أو انبنت عليه- فيما يخص المضامين العقدية- إلا أن العقيدة ذاتها كما وردت في القرآن والسنة ما تزال- هي المثل الأعلى الأكثر تأثيرا على الإطلاق بأدلتها المبنية على الاستدلال من الكتاب والسنة والإجماع ومع ذلك تظل الأمثلة العامية براهين سائرة وحاضرة في وجدان الناس تعبر عن واقعهم وفهمهم البسيط غير المنظم للعقائد وطريقة تعبيرهم عنها، بحيث يمكننا القول بأن العقائد- كما عبرت عنها الأمثال العامية- ليست مجرد غيبيات مطلقة ينطوى عليها القلب، وإنما عبر عنها اللسان العاميّ في صورة سهلة موجزة تسهم إلى حد كبير في تغيير الواقع والتأثير فيه على نحو سلوكيٍّ واضح يقنع أحيانا بعض العقول أكثر من الطرق والأساليب الجدلية المعقدة التي اتبعها المتكلمون وعبَّروا بها عن فهمهم للعقيدة الإسلامية واستدلالهم عليها. فالمتكلمون كان تراثهم خاصا لفئة معينة ألجموا به سائر العوام عن علمهم كما فعل الغزالي في كتاب له بهذا العنوان إلجام العوام عن علم الكلام، في حين أن الأمثال العامية مثلت بيئة واسعة للتداول فهي صناعة شعبية يستطيع أن يوظِّفها كل أحد وَقَفَ عَلى مورد المثل ومضربه، كما أن الأمثال العامية المصرية قد حسمت الجدل الطويل الذي دار بين المتكلمين حول مسائل الأسماء والصفات وغيرها من المسائل الكلامية التي اختلف حولها، بل دفعت بعض المتكلمين إلى إعلان الحيرة والأسف على خوضهم في هذه الخلافات إذ تمنَّى بعضهم أن يموت على دين العجائز، أو يعود إلى طريقة القرآن فقط كالرازي، أو يدرس السنة كالغزالي أو الندم على خوضه كالشهرستاني، وقد قال إمام الحرمين الجويني على الرغم من اشتغاله بعلم الكلام وامتلاكه الدليل والحجة والبرهان: "قد خليت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في كل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن

الكل إلى كلمة الحق: عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطف فأموت على دين العجائز" (٢٨٤)، وشتان بين خواص الخواص والعوام بما فيهم العجائز الذين كانوا طرفًا في إنتاج الأمثال العامية في كل عصر، وبذلك يكون العوامّ لهم إسهامٌ حقيقيٌّ في بناء صرح الأمم الثقافي والحضاري على نحو يميزهم عن غيرهم لا سيما في عصر العولمة الذي تتآكل فيه الثقافات الشعبية والمحلية أمام الاستقطاب العالمي نحو مركز الثقافة الغربية المعاصرة مما يعزز الاهتمام بالتراث الشعبي.

تعدّ الأمثال الشعبية المصرية بمثابة براهين عملية على يقين المصريين في معتقداتهم التي تساق في مواقف حياتية متنوعة باعتبارها وسيلة مهمة من وسائل الإقناع حسب السياقات والمواقف المختلفة، وذلك بلفت النظر إلى حقيقة قد تكون غائبة على الرغم من كون هذه الوسيلة خطابية غالبا وليست برهانية بيد أنها تسهم في الترغيب أو الترهيب بحسب ميل النفس إلى جانب من جوانب المثل الشعبي.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١- غطت الأمثال العامية موضوعات العقيدة الإسلامية الكبرى كالإلهيات والنبوات والسمعيات، وعبرت كذلك عن العقائد الدينية بصورة واقعية مؤثرة سواء في صورتها الصحيحة أو المغلوطة.

٢- استمدت كثير من الأمثال العامية أصولها من معاني آيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مباشرة، وقليل منها يعود إلى الجدل في التراث الكلامي الذي دار حولهما، مما يدل على ارتباط عوام المصريين بتراثهم وعقيدتهم.

٣- تبين أن أغلب الأمثال العامية توافق العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولا غرو في ذلك فالدين الإسلامي هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] وإن كانت هناك بعض الأمثال خالفت أصول العقيدة الصحيحة.

٤- اهتم العوام في أمثالهم العامية بذكر بعض أسماء الله الحسنى التي يحتاجون إلى العمل بها في تفاصيل حياتهم اليومية كالتعبد والدعاء لله الرزاق، الوكيل، الستير، الحفيظ، الفتاح.

٥- اتضح من البحث أن هناك تعارضا وتضاربا بين بعض الأمثال العامية التي تدور حول موضوع واحد، كالمسائل التي تعلقت بالقدر أو الرزق، وهذا أمر طبيعي من وجهة نظري؛ لأنها تعبر عن واقع حياتي، فالواقع له صورٌ مختلفةٌ تعبر عنه في ضوء (وقائع وسياقات ومواقف)، ولعل هذا التَّضارب الوارد بين بعض تلك الأمثال العامية يُفسره لنا أيضا المثل العاميّ القائل: **(مَصَائِبُ قَومٍ عند قَوْمٍ فَوَائِد)** حيث إن الجماعة متضاربة الأهواء والمصالح، فالمثل لا يعبر عنه فرد واحد في وقت واحد حتى نزعم بأن هناك تناقضا منطقيا في الأمثال، فهذا أمر آخر؛ لأن التناقض المنطقي لا بد فيه من اتفاق الموضوع والمحمول ووحدة الزمن، ولا ريب أن هذه الأمثال عبرتْ عن وقائع حدثت في أماكن وأزمنة مختلفة اكتنزتْ تجارب فرديَّة لأشخاص مختلفين.

٦- اتضح أن هناك قلة في الأمثال العامية المتعلقة بالإيمان بالكتب السماوية.

٧- يعد باب القضاء والقدر من أكثر أبواب العقيدة تنويعًا في الأمثال العاميَّة على الرغم من كونه من أكثر أركان الإيمان غموضا والتي نَهَي السَّلف عن محاولة فهمه أو الخوض فيه، وإن كان لم يمنع من محاولة تقريبه والتعبير عنه بألفاظ أخرى، مثل النصيب والقسمة اللذين يعبران عن القدر بمعناه السلبي، وذلك في مقابل القدر بمعناه الإيجابي، وهو ما عبرتْ عنه الأمثال بالبخت والحظ.

توصيات ومقترحات:

- تدعيم شرح مقررات العقيدة بالأمثال العامية لطلاب الثانوية العامة أو في بداية المرحلة الجامعية كما قالوا في المثل: **(التعليم بالمثال خير من التعليم بالمقال).**
- اتخاذ الأمثال العامية مدخلا لشرح العقائد والقضايا الكلامية بحيث تسهم في إذابة تعقيدات الكتب الكلامية، وتسهم في تبسيط المقررات العقديّة حيث إن العقيدة ذاتها من خصائصها السهولة واليسر.
- الاهتمام بالتراث الشعبي ودراسة الأمثال المصرية في جوانب أخرى كالحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية.

الهوامش

(١) محسن جمال الدين، من التراث الشعبي العربي: كتاب أمثال المتكلمين من عوام المصريين لعمر الباجوري، مجلة التراث الشعبي، دائرة الشؤون والثقافية، القسم الأول، مج١٣، عدد٧،٩، سنة١٩٨٢، ص١٥.

(٢) حسن حنفي، العقائد الدينية في أمثالنا العامية، كتاب التراث الشعبي في عالم متغير، تحرير محمد الجوهري وحسن حنفي، ط٢٠٠٢/١، ص١١٢،١١١.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ج١١، بيروت، دار صادر، ط١٤١٤/٣هـ، ص٦١٠.

(٤) الفارابي: ديوان الأدب، ج١، تحقيق د.أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٤٧، ص٧٤.

(٥) إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٨، ص٢٨.

(٦) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج٢، القاهرة، ط٣، ص٨٨٨.

(٧) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، القاهرة، مطبعة الهلال بالفجالة، ط١٩١١م، ص٥٢.

(٨) السابق نفسه، ج٥٢/١.

(٩) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد الشعبية، غلاف الكتاب الخارجي. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣.

(١٠) حامد طاهر، الفلسفة المصرية من الأمثال الشعبية، القاهرة، دار الهاني، ٢٠٠٨م، ص٤،٥.

(١١) محمد إبراهيم أبو سنة، فلسفة المثل الشعبي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط٢٠٠٩/١، ص٣.

(١٢) هناك آيات كثيرة ضرب الله فيها المثل، منها: [إبراهيم:٢٤]، و[النحل:١١٢،٧٦]، و[الزمر:٢٩]، و[التحريم:١١:١٠]

(١٣) جورجي زيدان، تاريخ آداب العربية، ص٥٣. وللمزيد صبح الأعشى، ج٢٩٥/١.

(١٤) انظر: أحمد عبيد، أمثالنا الموروثة قيمها الفكرية والأدبية، دون ناشر، ط سنة ١٩٨٧م، ص١٥-١٨.

(١٥) راجع: ادورد فنديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، حققه محمد على البيلاوي، مكتبة الهلال، د ١٨٩٦، ص٢٠.

(١٦) THE OXFORD DICTINARY OF INGLISH PROVERBS إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، ص١١.

(١٧) خيري شلبي: مقدمة كتاب الشعب المصري في أمثاله العامية، لإبراهيم أحمد شعلان، ص٥،٦.

(١٨) إبراهيم شعلان، الشعب المصري، ص٣٨.

(١٩) علي بن الحسن بن هندو: الكلم الروحانية في الحكم اليونانية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص٢٠.

(٢٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤٠٤/١هـ، ص٣.

(٢١) إبراهيم شعلان، الشعب المصري، ص٢٢.

(٢٢) انظر: سعيد المصري، إعادة إنتاج التراث الشعبي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢٠١٢/١، ص٤٠، ٤١.

(٢٣) أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال،ج١، تحقيق، محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ص٦.

(٢٤) محسن جمال الدين، أمثال المتكلمين عمر الباجوري، القسم الثاني، مجلة التراث الشعبي، ص٦٢.

(٢٥) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب البيوع، باب طلب الحلال واجتناب الشبهات، من حديث النعمان بن بشير، رقم ٩٧٧٣.

(٢٦) هناك كثير من الكتب والدراسات التي تناولت الأمثال في القرآن، منها: أمثال القرآن للجنيد بن محمد القواريري ٢٩٨هـ، وأمثال القرآن لنفطويه هـ٣٢٣، وأمثال القرآن لمحمد بن الحسين السلمي ٤١٢هـ، والأمثال القرآنية لعلي بن محمد الماوردي، أمثال القرآن د.محمود بن الشريف، الأمثال القرآنية، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، وغيرها.

(٢٧) ففي ختم النبوة قال: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا..." للمزيد من الدراسات في الأمثال النبوية انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، د.عبد المجيد محمود، مكتبة الصديق، الطائف ١٩٩٢م، وهاني طاهر حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٤. والأمثال في الحديث النبوي محمد جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤م وغيرها.

(٢٨) الحارث المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تحقيق د. حسين القوتلي، بيروت، دار الفكر، ط١٩٧١/١، ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢٩) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص١٩٣.

(٣٠) السنن الصغرى، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣١) جون لويس بوكهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد على، ترجمة إبراهيم شعلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢٠٠٠/٣، ص٥٢.

(٣٢) الأمثال العامية، ص٣٣٣.

(٣٣) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص٧٥.

(٣٤) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، فلسطين، دار الهدى، ط٢٠١٤/١، ص٢٩.

(٣٥) اللي= الذي، ويستعملها المصريون كاسم موصول، بل يكتفون بها عن كل اسم موصول آخر فهي للمفرد المذكر والمفرد المؤنث والمثنى وجمع الذكور وجمع الإناث والعاقل وغير العاقل، فلو عقدنا بابا لاسم الموصول في اللغة العامية لم نجد غير اللي" أحمد أمين، التقاليد والعادات المصرية، ص٦٤.

(٣٦) انظر: أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٩٧٥/٢، ص٥٧.

(٣٧) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (النظر والمعارف) تحقيق إبراهيم مدكور، بإشراف طه حسين، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت، ص٤.

(٣٨) الجويني، الإرشاد، ص٣.

(٣٩) انظر: عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت، ص٢٩. ويحيى فرغل، تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، القاهرة، دار الآفاق العربية ، ط٢٠٠٧/١، ص٤٥. وقد احتجَّ الأشاعرة على وجوبه من جهة الشرع بمسلكين: الأول التمسك بظواهر النصوص الدالة على وجوب النظر من مثل قوله تعالى: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) [يونس: ١٠١] السموات والأرض وقوله تعالى: (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [الروم: ٥٠] وهذا أمر بالنظر والأمر للوجوب كما هو الظاهر المتبادر منه. انظر: شوقي عمر، مادة النظر، موسوعة العقيدة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص١١٢١.

(٣٩) أحمد تيمور، الأمثال العامية، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط١٩٥٦/٢م، ص٢٤١.

(٤٠) عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت، ص٢٩.

(٤١) المواقف، ص٢٩.

(٤٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ من حديث أبي هريرة، رقم ١٣٠٤.

(٤٣) القاسم بن سلام الهروي، كتاب الإيمان، تحقيق محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٠/١، ص٥٨.

(٤٤) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال، ص٣٧٣.

(٤٥) الأمثال العامية، ص٢٤١. ثمة أمثلة كثيرة تنكر على طائفة من العوامّ لا يميزون بين المعارف

فقالوا عنهم: **(فُلاَن مَا بيعْرَفْش تِلْت التَّلاتة كَام) و (مَبْيعْرَفْش الأَلِفْ مِنْ كُوزْ الضُرَة) و (مَبْيعْرَفْش كُوْعُه مِنْ بُوْعُه) (اللّي مَبْيعْرَفْش يُقُوْل عَدْس).**

(٤٦) محسن جمال الدين ، أمثال المتكلمين، عمر الباجوري، ج٢، ص٥٦.

(٤٧) المواقف مع شرحه، ج١، ضبطه محمود الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٥٦.

(٤٨) أورده د.حامد طاهر، الفلسفة المصرية من الأمثال الشعبية، القاهرة، دار الهاني، ٢٠٠٨، ص٣١.

(٤٩) يقول المثل: (الْعَجَلة مِنْ الشَّيْطَان والهَدْوَةُ مِنْ الرَّحْمَن)، ووصف القرآن الإنسان بالعجلة (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) [الإسراء: ١١]. وقالوا في الحكم: (من تَأنَّي نَال ما تَمَنَّى).

(٥٠) انظر: المقدسي: البدء والتأريخ،ج١، عناية كلمان هوار، باريز سنة١٨٩٩م، ص٦٦.

(٥١) يشير إلى معنى قوله تعالى: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: ٢٩]

(٥٢) أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيع والبدع، تحقيق د.حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، ص١٧، ١٨.

(٥٣) نقلت هذه المثل بتصرف يسير جدا من كتاب أمثالنا العامية مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية، د. زاهي ناضر، دار الحداثة، بيروت، ط١٩٩٦/١، ص٣٩٤.

(٥٤) الأشعري، اللمع، ص٢٠.

(٥٥) راجع خلاف الأشاعرة والسلفيين المعاصرين حول المسألة إذ نجد كتابا بعنوان: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، عبد الرزاق عبد المحسن بدر، وقارنه كذلك بكتاب بعنوان: التنديد بمن عدَّد التوحيد: إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية، حسن السقاف لندرك مدى الصراع الفكري بين أتباع المدرستين.

(٥٦) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص٢٤٠.

(٥٧) موسوعة الأمثال الشعبية، ص٢٤.

(٥٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، من حديث أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري، رقم٩٩.

(٥٩) مسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم١١٢٩٣.

(٦٠) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال، ص٢٦٩.

(٦١) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب احفظ الله يحفظك، من حديث ابن عباس، رقم٢٥٥٣.

(٦٢) انظر: أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص١٤٢.

(٦٣) فايقة حسين راعب، حدائق الأمثال العامية، مطبعة أمين عبد الرحمن بالقاهرة، ط١٩٤٣/١، ص٧٠.

(٦٤) محسن جمال الدين، أمثال المتكلمين محمود الباجوري، القسم الثالث، ص١٠٤.

(٦٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٥٧٣٤.

(٦٦) تيمور، الأمثال العامية، ص٢٦١.

(٦٧) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج، من حديث أبي موسى الأشعري ، رقم٣٦٩٩.

(٦٨) انظر: الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج، تحقيق، د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٨١/١م، ص١٧٦.

(٦٩) حسن حنفي: ازداوجية الشخصية في التفكير الديني، نشر بمجلة الفكر المعاصر، عدد ٥٠، صدر بالقاهرة، عام ١٩٦٩، ص٦٣.

(٧٠) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر، رقم٥٤٣٩.

(٧١) أبو بكر الفريابي، صفة النفاق والمنافقين، تحقيق عبد الرقيب بن على، مراجعة مقبل الوادعي، بيروت، دار ابن زيدون، ط١٩٩٠/١م، ص٧٦.

(٧٢) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم١.

(٧٣) انظر: لسان العرب،ج١١، ص٧٥.

(٧٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم٣٣.

(٧٥) روى البخاري في صحيحه من حديث "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم ٣٤.

(٧٦) شخ، أي بَالَ.

(٧٧) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأحكام، القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة، من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه، رقم٧١١٢.

(٧٨) إبراهيم شعلان: الشعب المصري في أمثاله العامية، ص٢١٥.

(٧٩) حدائق الأمثال العامية، ص١٥٢.

(٨٠) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، من حديث أبي هريرة، رقم٦٩٩٧.

(٨١) مسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، من حديث عبد الله بن مسعود، رقم٣٦١٧.

(٨٢) العقائد الدينية، ص١١٣.

(٨٣) سنن أبي داود، كتاب البيوع، أبواب الإجارة، باب في التسعير، من حديث أنس رضي الله عنه، رقم ٣٠٤٦.

(٨٤) صالح، موسوعة الأمثال الشعبية، ص٥٠٧.

(٨٥) حدائق الأمثال العامية، ص١٤٢.

(٨٦) انظر: أحمد سعيد حسن: الأمثال الشعبية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدعوة، جامعة الأزهر، ٢٠١٨، ص٣٧٤.

(٨٧) البحر الزخار مسند البزار، عاصم عن زر عن حذيفة رضي الله عنه، رقم٢٥٣٠.

(٨٨) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص٢٤٠.

(٨٩) صلاح زيادنة، موسوعة الأمثال، ص٣٨.

(٩٠) انظر: إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، ص٢٠٨.

(٩١) لعل المثل مأثور عن عنوان أحد الكتب بعنوان (البركة في فضل السعي والحركة) لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي المتوفى سنة (٧٨٢هـ).

(٩٢) فايقة حسين راغب، حدائق الأمثال العامية، ص٤٤.

(٩٣) البستاني، أمثال الشرق والغرب، ص٣٤.

(٩٤) لعل أصل المثل هو الحديث النبوي الشريف الذي أورده الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) باب العين، باب الميم من اسمه محمد، ، رقم٥٨٢٦.

(٩٥) حدائق الأمثال، ص٧٢.

(٩٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم ٣٠٦١.

(٩٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص٦٢.

(٩٨) سامية الساعاتي: الإبداع في المثل الشعبي تحليل اجتماعي لبعض الأمثال العربية، ضمن كتاب التراث الشعبي في عالم متغير، تحرير محمد الجوهري وحسن حنفي، ط٢٠٠٢/١، ص٣١٥.

(٩٩) انظر: ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق، موسى الوشي، عبد العال العرابي، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، مطبعة القاهرة الحديثة، ١٩٧١م، ص٢٤٧.

(١٠٠) العادات والتقاليد، ص٢٤٦.

(١٠١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، من حديث ابن عمر، رقم ٥٤٤٥.

(١٠٢) المعجم الأوسط للطبراني، باب العين، من اسمه العباس من حديث ابن عباس رضي الله عنه، رقم ٤٤١٤.

(١٠٣) مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين، أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من حديث عمر بن الخطاب، رقم٢٠٩.

(١٠٤) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء، رقم٧٢٣.

(١٠٥) حدائق الأمثال العامية، ص١٥٠.

(١٠٦) السابق نفسه، ص١٤٩.

(١٠٧) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا، باب الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، من حديث الحسن البصري، رقم ٢٩٧٥٨.

(١٠٨) البيهقي، شعب الإيمان، الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في الأمانات وما يحب الله تبارك وتعالى، من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم٥٠٨٠.

(١٠٩) إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، ص٢١٤.

(١١٠) العادات والتقاليد المصرية، ص٢٠٨.

(١١١) موسوعة الأمثال، ص٤١.

(١١٢) الغزالي، المقصد الأسنى، ص١١٧.

(١١٣) حدائق الأمثال العامية، ص٧٢.

(١١٤) سنن الدارمي، من كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، عن أبي سعيد الخدري، رقم٣٣٩٠٩.

(١١٥) موسوعة الأمثال، ص٣٠٤.

(١١٦) الغزالي، المقصد الأسنى، ص٦٢.

(١١٧) حدائق الأمثال العامية، ص٢٧٢.

(١١٨) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، إذا أحب الله العبد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٣٠٦٢.

(١١٩) حدائق الأمثال العامية، ص٧٤.

(١٢٠) انظر: الغزالي، المقصد الأسنى، ص١١١.

(١٢١) انظر: السابق نفسه، ص١٤٤.

(١٢٢) حدائق الأمثال العامية، ص٧١.

(١٢٣) انظر: أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ): تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، القاهرة، دار الثقافة العربية، ص٦٣.

(١٢٤) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الظهارة، جماع أبواب الغسل من الجنابة، باب الستر في الغسل عند الناس، من حديث أبي يعلى، رقم٩٠٢.

(١٢٥) أما في الدعاء والتعبد فالأولى أن نلتزم باسم الله تعالى (الستير) الذي تعبدنا به؛ لأن أسماء الله توقيفية، أي أن الله تعالى هو من سمى نفسه بها.

(١٢٦) حدائق الأمثال العامية، ص١٣٧.

(١٢٧) د.أيمن زهري، الأمثال العامية المعاصرة، طبع في القاهرة، ط١/ ٢٠١٧، ص٤٢.

(١٢٨) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق بسام الجابي، قبرص، الجفان والجابي، ط١/١٩٨٧، ص١٠١.

(١٢٩) حدائق الأمثال العامية، ص١٩٦.

(١٣٠) السابق نفسه، ص٥٥.

(١٣١) السابق نفسه، ص١٥٢.

(١٣٢) موسوعة الأمثال، صلاح، ص٣٨٩.

(١٣٣) حدائق الأمثال العامية، ص٩٨.

(١٣٤) أحمد أمين، قاموس العادات، ص٢٠٢.

(١٣٥) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يستخلف، من حديث عبد الله بن عمر، رقم٢٥٦١.

(١٣٦) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، من حديث أبي هريرة، رقم٢٨٧٨.

(١٣٧) حدائق الأمثال العامية، ص١٦٨.

(١٣٨) السابق نفسه، ص١٦٠.

(١٣٩) السابق نفسه، ص ١٨٢.

(١٤٠) السابق نفسه، ص١٤٢.

(١٤١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب القدر، من حديث أبي بن كعب، رقم٤١٤٠.

(١٤٢) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص١٩٣.

(١٤٣) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج١، ص١٠٧.

(١٤٤) أروع الأمثال الشعبية، ص١٦. (مترح متأمن خاف)

(١٤٥) يحوش، لفظ عامي بمعنى يمنع أو يرد، ولعله مُحوَّل عن يحول، فنطقت اللام شينا.

(١٤٦) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، الذبائح، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، من حديث سلمان، رقم ٢١٥٩.

(١٤٧) بكر محمد إسماعيل، أروع الأمثال الشعبية، القاهرة، المكتبة المحمودية، ط/٢٠٠٠، ص١٦.

(١٤٨) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال، ص٧٢.

(١٤٩) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، الذبائح، أبوب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ، من حديث ابن عباس، رقم٢٥٥٣.

(١٥٠) أروع الأمثال، ص١٦.

(١٥١) السابق نفسه.

(١٥٢) قال تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [القصص: ٧٩]

(١٥٣) حسين الخشن، ظواهر ليست من الدين، لبنان، المركز الثقافي الإسلامي، ٢٠١١، ص٧٦.

(١٥٤) هذا المثل سبق ذكره بلفظ البخت منقولا عن أحمد أمين ونورده هنا كما هو مشهور بين الناس بلفظ الحظ، ولا بأس بالروايتين.

(١٥٥) البخت هنا هو الحظ السيء. انظر: أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص١٣٦.

(١٥٦) الآمدي، سيف الدين: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق د.حسن الشافعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١٩٩٣/٢، ص١١٨.

(١٥٧) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص٧٩.

(١٥٨) الأمثال العامية، ص١٣٥.

(١٥٩) يوسف توما البستاني، أمثال الشرق والغرب، طبع بالمطبعة اليوسفية بمصر، ط١٩١٧/٢، ص١٠٦.

(١٦٠) ابن هندو: الكلم الروحانية في الحكم اليونانية، ص٢٦.

(١٦١) حدائق الأمثال العامية، ص٢٨٧. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، باب ما جاء في فضل القناعة والصبر على ذلك، من حديث أبي هريرة، رقم٣٠٩.

(١٦٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، من حديث صهيب، رقم ٥٤٥٢.

(١٦٣) البيهقي: شعب الإيمان، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت، من حديث أنس بن مالك، رقم ٩٤٤٤.

(١٦٤) حدائق الأمثال العامية، ص٢١٣.

(١٦٥) إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، ص٢١٠.

(١٦٦) صحيح البخاري، كتاب المرضي، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. ومسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، مسند النساء، حديث فاطمة عمة أبي عبيدة، رقم٢٦٤٨٢.

(١٦٧) مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم ١٥١٤.

(١٦٨) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء، من حديث أسامة بن شريك، رقم ٣٤٥٧.

(١٦٩) حدائق الأمثال العامية، ص١١٤.

(١٧٠) الأمثال العامية، ص٤٨.

(١٧١) الحسن اليوسي، الأمثال والحكم، ج١، ص١٣٨.

(١٧٢) روى البخارى في صحيحه قول الرسول ﷺ: "لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، من حديث أنس رضى الله عنه، رقم١٣.

(١٧٣) إذ ترتب عليه أول جريمة قتل في تاريخ الإنسانية بين ابني آدم عليه السلام، إذ قتل قابيل هابيل حسدا له، وجريمة أخرى بإلقاء إخوة يوسف له في غيابات الجب حسدا له على حب أبيه (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) وكانت نتيجة هذ الحسد محاولة التخلص منه (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) [يوسف: ٨-٩] وبذلك ظنوا أنهم استأثروا بوجه يعقوب، وعلى الرغم من فعلتهم الشنعاء، فقد نهاهم أبوهم عن دخول مصر من باب واحد خشية عليهم، وقال الله على لسان يعقوب: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) [يوسف: ٦٧]، وما يزال الحسد يمثل مشتركا إنسانيا متوارثا بين الشعوب كما كانت بين ابني آدم عليه السلام، وقال الله تعالى عن بعض أهل الكتاب الذي حسدوا أهل الإيمان (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [البقرة: ١٠٩] وكان المشركون يحسدون (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [القلم:٥١] إذ قال المفسرون عن تفسير ليزلقونك بأبصارهم، أي ليهلكونك أو يخترقونك بأعينهم بغضا وحسدا.

(١٧٤) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، من حديث ابن عباس، رقم٤١٧٥.

(١٧٥) حلية الأولياء، سفيان الثوري، العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر، من حديث جابر، رقم١٠٠٠٤.

(١٧٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم، من حديث أنس، رقم٩٤.

(١٧٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم٤٣٢٠.

(١٧٨) البستاني، أمثال الشرق والغرب، ص١٤٤.

(١٧٩) كان يُعَوِّذُ بها إبراهيم إسماعيل وإسحاق ورسولنا كان يُعَوِّذُ بها الحسن والحسين.صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رقم٣٢١٧. كان يُعَوِّذُ بها إبراهيم إسماعيل وإسحاق ورسولنا كان يُعَوِّذُ بها الحسن والحسين.

(١٨٠) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، كتاب الطب، ذكر الزجر عن تعليق التمائم التي فيها الشرك بالله جل وعلا، من حديث عقبة بن عامر، رقم ٦١٩٣.

(١٨١) المعجم الأوسط للطبراني، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان، من حديث معاذ بن جبل، رقم ٢٥٥٠.

(١٨٢) أحمد بن يحيى المرتضى: باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، تصحيح، توما أرنلد، دار صادر، بيروت، عن طبعة دار المعارف النظامية بالهند، ١٣١٦هـ، ص٨.

(١٨٣) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٤٣.

(١٨٤) الأمثال العامية، ص٣٣٢.

(١٨٥) السابق نفسه، ص١٢.

(١٨٦) موسوعة الأمثال، ص٢٧.

(١٨٧) الأمثال العامية، ص٣٧.

(١٨٨) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص٢٢٣.

(١٨٩) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٤٢٨٥.

(١٩٠) يوسف البستاني، أمثال الشرق والغرب، ص٤١.

(١٩١) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، ص١٠.

(١٩٢) قال الشهرستاني عن رأي الجهمية في القدرة الحادثة: "إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله؛ لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، واهنتزت الأرض وأنبتت، إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر. قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا." الملل والنحل (١/ ٨٧)

(١٩٣) د.أيمن زهري، الأمثال العامية المعاصرة، ص٥٣.

(١٩٤) انظر: الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين حيدر، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١/١٩٨٧، ص٢٣٥.

(١٩٥) أحمد أمين، قاموس العادات، ص١٦٢.

(١٩٦) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، من حديث عبد الله بن عباس، رقم٥٤٢١.

(١٩٧) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام الكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، من حديث أبي هريرة، رقم٦٨٩٦.

(١٩٨) إبراهيم شعلان، موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة، ج١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١/٢٠٠٣، ص١٣٣.

(١٩٩) تيمور، الأمثال العامية، ص١٦٦.

(٢٠٠) عمر الباجوري، أمثال المتكلمين، القسم الأول، ص٥٨.

(٢٠١) أحمد أمين، قاموس العادات، ص٣٩٩.

(٢٠٢) السابق نفسه، ص٧٧.

(٢٠٣) الحديث "لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك (لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم) من حديث حنظلة الأسيدي، رقم٥٠٦٦.

(٢٠٤) وفي رواية أخرى: (روحوا القلوب ساعة ساعة) رواه الديلمى، وأبو نعيم والقضاعى مرفوعا عن أنس انظر: كشف الخفا للعجلونى، ١/ ٤٣٥.

(٢٠٥) روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم" أشار بأصابعه إلى صدره صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه، رقم ٤٧٧٨.

(٢٠٦) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق، على النشار، بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت، ص٧٠.

(٢٠٧) هناك آيات كثيرة في القرآن تدل معنى المثل: (نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الحجر: ٤٩] (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: ٨٢] (قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣] (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَة) [النجم: ٣٢]

(٢٠٨) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، من حديث النعمان بن بشير، رقم٥٢.

(٢٠٩) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله فأما من أعطى واتقى، عن على بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٤٦٨١.

(٢١٠) مسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة أو قال: إلى المسجد صدقة"، رقم٧٩٤١.

(٢١١) الآمدي، المبين، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٢١٢) العادات والتقاليد، ص٢٣٩.

(٢١٣) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، ص٤٢٨.

(٢١٤) الأمثال العامية، ص٥٠٤، وحسن حنفي: العقائد الدينية في الأمثال العامية، ص١١٨.

(٢١٥) ويروى (زبورك) بدل مزاميرك، ويرويه آخرون: (رَاح تِقْرَا زَبُوْرَك) بزيادة راح في أوله. تيمور، الأمثال العامية، ص١٦٤.

(٢١٦) بوكهارت، العادات والتقاليد، ص٤٥.

(٢١٧) موسوعة الأمثال الشعبية، ص٤٧٩.

(٢١٨) حاشية أبي البركات سيدي أحمد الدردير على قصة المعراج لنجم الدين الغيطي، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى الحلبي، سنة ١٩٤٨، ص٢٧.

(٢١٩) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، من حديث عبد الله بن هشام عن عمر بن الخطاب، رقم ٦٢٨٦.

(٢٢٠) العادات والتقاليد المصرية، ص١٣٣.

(٢٢١) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، الذبائح، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ، من حديث أنس بن مالك، رقم٣٧٠٩.

(٢٢٢) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، ص٤٧٧. مع العلم بأن النبي لم يترك مالا ومات عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة).

(٢٢٣) بوكهارت، الأمثال العربية أو العادات والتقاليد المصرية، ص٢٥.

(٢٢٤) فايقة حسين راعب، حدائق الأمثال العامية، ص٥٥.

(٢٢٥) المعجم الأوسط للطبراني، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، من حديث أبي هريرة، رقم ٢٦٩٦.

(٢٢٦) موسوعة الأمثال الشعبية، ص٤٧٩.

(٢٢٧) حدائق الأمثال العامية، ص١١٣.

(٢٢٨) العادات والتقاليد المصرية، ص٢٣٥.

(٢٢٩) نعوم شقير، أمثال العوام في مصر والسودان والشام، ص١٤.

(٢٣٠) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، من حديث أبي هريرة، رقم ٤٤٨٧.

(٢٣١) بو كهارت، العادات والتقاليد، ص٢٥.

(٢٣٢) صالح زيادنة، موسوعة الأمثال، ص٣٧٦.

(٢٣٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه، من حديث أبي هريرة، رقم ٧٠٣٢.

(٢٣٤) انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ج١، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٠٠١/٧، ص٤٦٥.

(٢٣٥) تيمور، الأمثال العامية، ص١٨.

(٢٣٦) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٦، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٤/٢هـ، ص٤١٥.

(٢٣٧) ودستور تستعمل إذا مر رجل على امرأة ليعلنها بالتحجب، فالرجل إذا طلع السلم على الحريم قال: دستور أو يا ساتر، فتسمع المرأة ذلك فتحتجب، ويستعمل أيضا عند زيارة الأضرحة والمشايخ فيقول الرجل أو المرأة: دستور يا سادة، كأنه يستأذن في الزيارة" أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص٢٠٣.

(٢٣٨) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، من حديث خولة بنت حكيم السلمية، رقم٥٠١٠.

(٢٣٩) جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية دراسة، ص٣٧.

(٢٤٠) إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، ص٢٥٣.

(٢٤١) راجع: ما كتبه أحمد أمين عن عادات المصرين مع الجن في كتابه قاموس العادات والتقاليد، ١٤٩-١٥١.

(٢٤٢) وقد يكون الشيطان ذكرا أو أنثى كما قال قديما الشاعر العربي أبو النجم قدامة بن فضل: إني وكل شاعر من البشر... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر.

(٢٤٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سرياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان، من حديث عبد الله بن مسعود، رقم٥١٦٣ .

(٢٤٤) فايقة راغب، حدائق الأمثال العامية، ص٦٥.

(٢٤٥) العادات والتقاليد المصرية، ص٨٦.

(٢٤٦) إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله، ص٢٤٩.

(٢٤٧) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد التعابير المصرية، ص٧٠.

(٢٤٨) على الرغم من أنه يدعوه دائما إلى التعجل والأخذ بالوساوس كما ورد في المثل **(الْعَجَلَة مِن الشَّيطان)** لأن الاستجابة للهواجس والوساوس قد توقع الإنسان في المعصية والخطأ، ولذلك حذر المثل من العجلة، وقالوا في المثل: **(فِي التَّأَنِّي السَّلامَة وفِي الْعَجَلَة النَّدَامَة)** فالتَّمَهُّل يعطي الإنسان فرصة ليراجع نفسه.

(٢٤٩) يتعارض هذا المثل مع مثل آخر يقول: (القرش الأبيض ينفعك في اليوم الأسود) حيث يدعو هذ المثل إلى التدبير في حين أن الأول يدعو إلى التبذير، أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص٧٠.

(٢٥٠) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معى واحد، من حديث ابن عمر، رقم٥١٠١.

(٢٥١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، من حديث جابر بن عبد الله، رقم٣٨٧٧.

(٢٥٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب لا يقال حبثت نفسي لا تقل تعس الشيطان، من حديث عن أبي المَليح، رقم ٤٣٩٣.

(٢٥٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣٥٥/٢، أحمد سعيد، الأمثال الشعبية المصرية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، ص٣٨٩.

(٢٥٤) انظر: شمس الدين السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج٢، دمشق، مكتبة الخافقين، ط١٩٨٢/٢م، ص١٦٩.

(٢٥٥) حسن حنفي: العقائد الدينية في الأمثال العامية، ص١١٨.

(٢٥٦) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار، ج١٦٩/٢.

(٢٥٧) وهو من قول علي بن أبي طالب لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري، انظر: إسماعيل العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج٢، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ، ص٣١٢.

(٢٥٨) أحمد سعيد حسن، الأمثال الشعبية المصرية، ص٣٩٠.

(٢٥٩) قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) [الروم: ٢٢].

(٢٦٠) الأمثال العامية، ص٢٤١.

(٢٦١) قال الرسولﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، من حديث أبي موسى، رقم٦١٧٠.

(٢٦٢) أحمد حسن، الأمثال الشعبية المصرية، ص٣٩١.

(٢٦٣) موسوعة الأمثال الشعبية، ص٦١.

(٢٦٤) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص٧.

(٢٦٥) حدائق الأمثال العامية، ص١٨١.

(٢٦٦) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الظهارة عن رسول الله ﷺ، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، من حديث أبي هريرة، رقم ٤١٥.

(٢٦٧) الأمثال العامية، ص١٨

(٢٦٨) العادات والتقاليد، ص١٩٤.

(٢٦٩) حدائق الأمثال العامية، ص٢٣٠.

(٢٧٠) السابق نفسه، ص٧١.

(٢٧١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعزى الميت، من حديث أسامة بن زيد، رقم ١٢٣٧.

(٢٧٢) حدائق الأمثال العامية، ص٧٩.

(٢٧٣) أحمد سعيد حسن، الأمثال الشعبية، ص٣٩٠.

(٢٧٤) انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ص١٧١.

(٢٧٥) لمعة الاعتقاد، ص١١٧.

(٢٧٦) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم ٦١٩٨.

(٢٧٧) انظر: جمال الدين الغزنوي، أصول الدين، تحقيق: د.عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط ١٩٩٨/١، ص٢٢٦.

(٢٧٨) زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، ص٥٠٧.

(٢٧٩) العادات والتقاليد المصرية، ص٢٣٢.

(٢٨٠) للمزيد: راجع: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، حيث يصف فيه ابن القيم الجوزية الجنة ونعيمها، وصفات أهلها، وعدد أبوابها، وخازنيها.

(٢٨١) سنن الترمذي الجامع الصحيح، الذبائح، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الكبر، من حديث أبي سعيد الخدري، رقم ٢٠٠٦.

(٢٨٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، من حديث جندب بن عبد الله البجلي، رقم ٤٨٨٢.

(٢٨٣) العادات والتقاليد المصرية، ص٩٤.

(٢٨٤) السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية، ص٢٣٧.

ثبت بأهم المصادر والمراجع:

- أبو سنة، محمد. (٢٠٠٩). *فلسفة المثل الشعبي*. (ط.١). القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- إسماعيل، بكر. (٢٠٠٠). *أروع الأمثال الشعبية*، القاهرة: المكتبة المحمودية.
- الآمدي، سيف الدين. (١٩٩٣). *المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين*. (ط.٢). تحقيق د.حسن الشافعي، القاهرة: مكتبة وهبة.
- أمين، أحمد. (٢٠١٣). *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية*. القاهرة: مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة.
- بوكهارت، ج (٢٠٠٠). *العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد على*. (ط.٣). (إبراهيم شعلان، مترجم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تيمور، أحمد. (١٩٥٦). *الأمثال العامية*. (ط.٢). القاهرة: لجنة نشر المؤلفات التيمورية، دار الكتاب العربي.
- حسن، أحمد. (٢٠١٨). *الأمثال الشعبية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع*. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة.
- حنفي، حسن. (١،١٩٦٩، أبريل). *ازداوجية الشخصية في التفكير الديني*. *مجلة الفكر المعاصر*، ٤ (٥٠)، ٥٨-٦٨.
- راغب، فايقة. (١٩٤٣). *حدائق الأمثال العامية*. (ط.١). القاهرة: مطبعة أمين عبد الرحمن.
- زيادنة، صالح. (٢٠١٤). *موسوعة الأمثال الشعبية*. (ط.١). فلسطين: دار الهدى.
- زيدان، جورجي. (١٩١١). *تاريخ آداب اللغة العربية*، ج١، القاهرة: مطبعة الهلال بالفجالة.
- الساعاتي، سامية. (٢٠٠٢). *الإبداع في المثل الشعبي تحليل اجتماعي لبعض الأمثال العربية*. محمد الجوهري، حسن حنفي (محرر)، *التراث الشعبي في عالم متغير* (ط.١، ص ص ٥٣-٨٦). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الاجتماعية.
- طاهر، حامد. (٢٠٠٨). *الفلسفة المصرية من الأمثال الشعبية*. (ط.١). القاهرة: دار الهاني.
- الغزالي، أبو حامد. (د.ت). *إحياء علوم الدين*. ج٢، بيروت: دار المعرفة.
- الغزنوي، جمال الدين. (١٩٩٨). *أصول الدين*. (ط.١). تحقيق: د.عمر الداعوق، لبنان: دار البشائر الإسلامية.
- فنديك، ا. (١٨٩٦). *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية*، تحقيق محمد على البلاوي. القاهرة: مكتبة الهلال
- المحاسبي، الحارث. (١٩٧١). *العقل وفهم القرآن*. (ط.١). تحقيق د. حسين القوتلي، بيروت: دار الفكر.